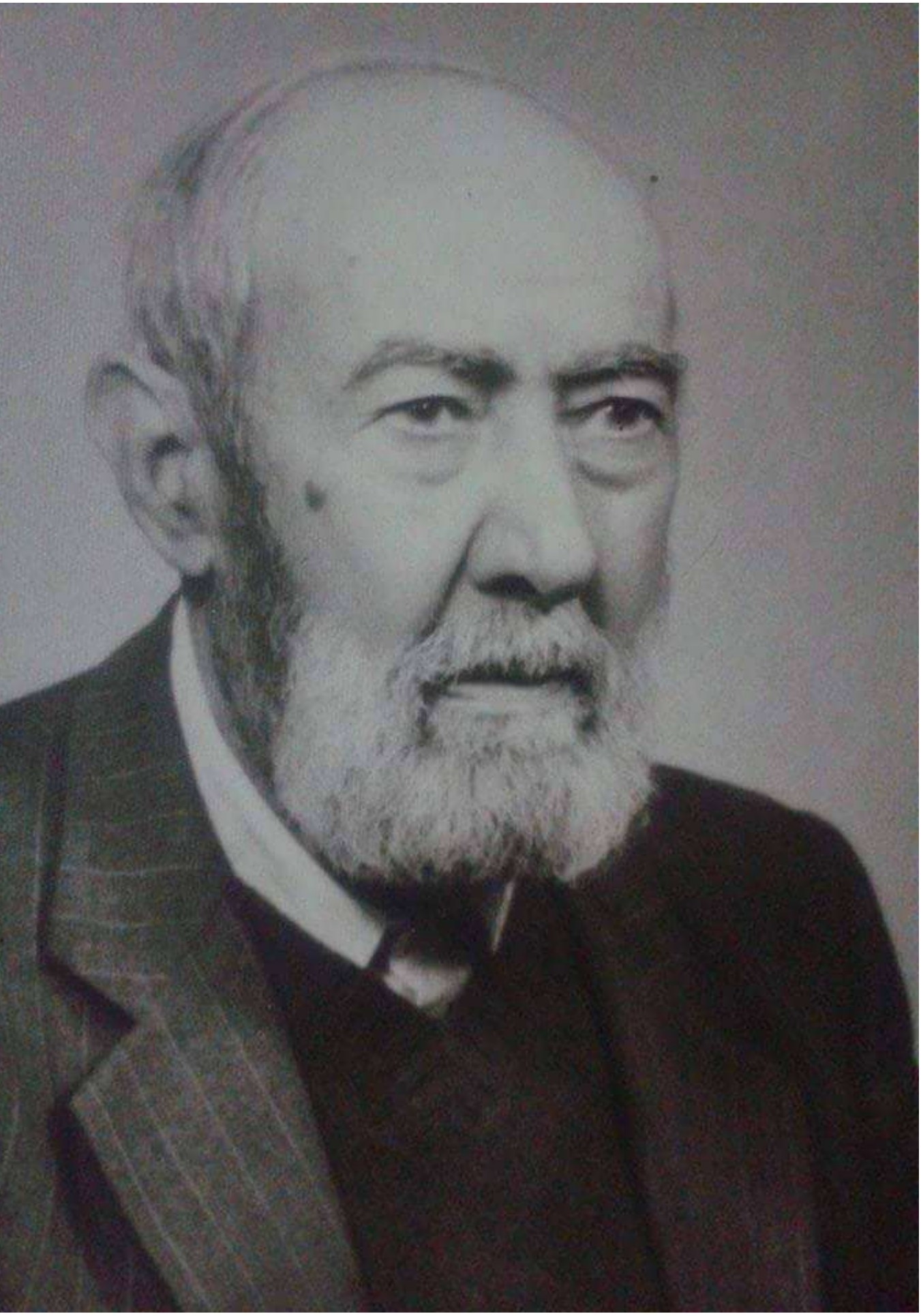
الإنسان بعد الموت

تأليف

محمّد علي حسن الحلّي



صورة المؤلّف

محمّد علي حسن الحلّي

توفّي سنة ١٩٩١م

الطبعة الثانية

طبع في بغداد مطبعة المعارف سنة ١٣٨٣ هجرية الموافق ١٩٦٤ ميلادية

وسننشر الطبعة الثالثة عند توفر مسودّتها إن شاء الله تعالى

فهرس المحتويات

الإنسان بعد الموت

صورة المؤلّف

فهرس المحتويات

تمهيد

ما هو الإنسان

ما هي النفوس

سؤال ١

الروح

صفات النفوس

حواس النفس

بيان

الكلام والنطق

تكوين النفوس في الأجسام

[مثل بطارية السيارة]

الجنين لا يسمع ولا يبصر

صورة فرخ خرج من بيضته

تجارب

المادّة والأثير

سؤال٢

الأثير

القوّة والتأثير

واجبات الجسم والنفس

الأعمال التي يقوم بِها جسم الإنسان

أمّا النفس فمن واجباتِها

النوم

النوم الاتّصالي

النوم الانفصالي

حادثة أذكرها بمقام شاهد

حادثة إغماء

موت أم إغماء

ساعة قضيتها مع الأرواح

المقدّمة

رحلة في عالم الأرواح

عريان

هل تريد ماءً لتشرب

هذا عمّك علي

أنا أختك

جاءت والدتي

ساقَيّ لا تساعداننني

لمّا وصلتُ باب الدار

أخرجْ من شقوق الباب

سؤال ٣:

الإغماء

إغماء في المستشفى

الرؤيا

أضغاث أحلام

الرؤيا الروحانية

الرؤيا الكاذبة

الرؤيا الصادقة

نشرت إحدى المجلاّت العلمية

ما وقع لامرأة عجوز من أهالي مدينة فيلادلفيا

ويروى عن أدوين ريد

ومن هذا القبيل

امرأةً في كربلاء

والحادث الثاني

ما هو الموت

سؤال ٤:

ما هو سبب الموت

ملك الموت

ساعة الموت

سؤال ٥ :

سؤال ٦ :

الأجسام بعد الموت

سؤال٧ :

النفوس بعد الموت

[الملابس]

[العطش]

[الجوع]

[تواجد الأرواح]

[تأثير الرياح والأمطار على الأرواح]

[الفرار من عالم المادة إلى جوار ربّك]

النعيم في الآخرة

والآخرة خيرٌ وأبقى

صفات النفوس بعد الموت

[إيحاء النفوس إلينا]

نادرة

حادثة أخرى

سؤال ٨ :

سؤال ٩ :

المخلوقات الروحانية

صفاتُها

الملائكة

الجن

شبح فرنسا الأحمر

الشبح يدخل والأبواب مغلقة

الشياطين

إبليس

تحضير الأرواح

قصة

العذاب والنعيم في البرزخ

[نعيم الصالحين بعد الموت]

[عذاب الكافرين بعد الموت]

تأتي إليه الشياطين والجن والنفوس الشرّيرة

يبقى عريان بين النفوس جائع عطشان

سؤال ١٠

تعليمات

ماذكره الله تعالى للمؤمنين في عالم البرزخ

أصحاب الصغائر

أصحاب الكبائر

الحساب والجزاء

منكر ونكير

سؤال ١١

المحشر

الحشر للنفوس

لا معاد للأجسام

إعتراض

سؤال١٢

سؤال ١٣

سؤال ١٤

سؤال ١٥

سؤال ١٦

سؤال ١٧

السؤال ١٨

سؤال ١٩

حادثة تاريخية

جهنّم

تعريف

الموقف والحساب

[الصيحة]

[جبريل والملائكة في ذلك الموقف]

[محاكمة الأنبياء والرسل]

سؤال ٢٠

الجنان

لا يعلم الناس موقعها

سكانها أثيريون

موقع الجنان في السماء

وصف الجنان

الأشجار في الجنّة

الأكل في عالم الأثير

رسم تخيلي لنخلة أثيرية

الكلمة الطيّبة

الأشجار الخبيثة

صورة غصنٍ لشجرة أثيرية

بيان

[أهل الجنة لا ينامون ولا يبولون ولا يتغوّطون]

[الجنة الأثيرية وليدة الأرض المادية]

سؤال ٢١

[الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض]

سؤال ٢٢

[صعود المسيح إلى السماء]

سؤال ٢٣

[الإسراء والمعراج]

سؤال ٢٤

حادثة إغماء

إرشادات

سؤال ٢٥

سؤال ٢٦

سؤال ٢٧

سؤال ٢٨

سؤال ٢٩

سؤال ٣٠

سؤال ٣١

ذكر الله

الاستعانة بالله

السؤال من الله

سؤال ٣٢

سؤال ٣٣

النذر لله

العطاء والإنفاق في سبيل الله

التسمية

التعظيم لله

سؤال ٣٤

اليمين بالله

سؤال ٣٥

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلّمه البيان ، وهيّأ له النبات وسخّر له الحيوان ، وجعل حياته مدى الدهور والأزمان ، والصلاة والسلام على محمّد سيّد ولد عدنان ، الذي أنزل عليه القرآن ، فكان لنا خير دليل وأحسن تبيان .

أمّا بعد فإنّي سألت الله الخير والرحمة ، فأعطاني العلم والحكمة ، فحمداً له على ما أكرم ، وشكراً له على ما أنعم .

وقد قسّمت كتابي إلى أربعة أجزاء فجعلت الأوّل في علم الفلك وسمّيته (الكون والقرآن) ، وجعلت الثاني في بحث الأرواح والعالم الأثيري وسميته (الإنسان بعد الموت) ، وجعلت الثالث في (الردّ على الملحدين) ، أمّا الرابع جعلته في تفسير الآيات المتشابهة من القرآن و سميته (المشتبه من القرآن) وبه يتمّ الكتاب .

محمّد علي حسن

ما هو الإنسان

إعلم أنّ الإنسان الحقيقي هو النفس الأثيرية أي الروح الروحانية ، وليس الإنسان الجسم المادّي الذي يتمزّق بعد الموت ويكون تراباً . وما الجسم المادّي إلاّ قالب تتكوّن فيه النفس فإذا كمل إنشاؤها وبلغت رشدها فلا حاجة بعد ذلك للجسم لأنّ النفس هي الإنسان الحقيقي ، وهي التي تتكلّم وتسمع وتبصر وتشعر باللّذات والآلام وهي التي تعقل وتفهم و لا حاجة لَها بالجسم بعد انفصالِها عنه . أمّا الجسم الذي انفصلت

عنه النفس يكون كالخشبة الممدودة لا يعقل ولا يفهم ولا يشعر باللّذات والآلام ؛ إذاً الإنسان الحقيقي هو النفس ، والشاهد على ذلك قول الشاعر :

أقبِلْ على النفس واستكمل فضائلَها فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ

وقال الله تعالى في سورة الملائكة {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ} يقول الله تعالى لنبيّه محمّد : إنّ هؤلاء الكافرين لا يسمعون ما تقول لهم لشدّة عنادهم كما أنّ الأموات التي في القبور لا تسمع من يخاطبها ، فهذه الآية تؤيّد بأنّ الميّت الذي انفصلت عنه النفس لا يسمع من يخاطبه لأنّه لا حياة فيه . وقال تعالى في سورة النمل {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}، فهذه الآيات تصرّح بأنّ الأجسام الميّتة لا تسمع ولا تعقل فما هي إلاّ أجسام ميّتة لا حياة لَها وإنّها تتلاشى بعد سنين وتكون تراباً . فمن قال أنّ النفس ترجع للجسم في القبر ويحيى الميّت ويحاسب ، أقول في جوابه : ما هذه إلاّ كلمات وهميّة لا حقيقة لَها .

وأمّا ما جاء في الحساب و الجزاء والعقاب في عالم البرزخ فهو للنفس خاصة دون الجسم لأنّ الجسم لا يشعر بأيّ شيء من ذلك ، أمّا النفوس فهي باقية لا تفنى ، قال الله تعالى في سورة البقرة {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ} ، والمعنى : لا تظنّوا أنّ هؤلاء الذين قتلوا قي سبيل الله انتهت حياتهم لأنّكم ترون أجسامهم ملقاة على الأرض ودماؤهم تسيل بل هم أحياء ولكن لا تشعرون بهم لأنّكم ترون الأجسام ولا ترون النفوس ؛ والإنسان الحقيقي هو النفس لا الجسم .

وقال تعالى في سورة آل عمران {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} ، فقوله تعالى {عِندَ رَبِّهِمْ} يعني في الطبقات الأثيرية أي في الجنان يرزقون من ثمارها ويشربون من أنهارها ، فلو أنّ الله تعالى قصد بذلك أجسامهم لقال : أحياء في القبر يرزقون .

وقال تعالى في سورة يس {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ } ، فلمّا كان هذا الرجل مقتولاً فكيف يقال له ادخل الجنّة ، ولكنّ القول لنفسه لا لجسمه لأنّ النفس باقية لا تفنى ، ولمّا دخلت نفسه الجنّة الأثيرية حينئذٍ قالت {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ} .

وقال تعالى في سورة نوح حاكياً عن قومه {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} ، فإذا كانت أجسامهم غرقى في الماء فأين تكون النار منهم ، ولكن المعنى : أغرقت أجسامهم في الماء وأدخلت نفوسهم في النار ، واعلم أنّ دخول الجنّة في عالم البرزخ هو خاص لبعض النفوس ، وكذلك دخول النار .

وقال عزّ من قائل في سورة الحج {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ، فقوله تعالى {لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ } يعني يرزق نفوسهم لأنّ النفوس باقية لا تفنى .

ما هي النفوس

إنّ النفس هي التي نسمّيها (روح)

ولكن الفرق كبير بين الروح والنفس ، فالروح هي مجموعة من ذرّات أثيرية لا شكل لَها ولا هيكل بل هي كالهواء ، والروح لا تعقل ولا تبصر ولا تسمع ولا تتكلّم ولا تفهم . أمّا النفس فلَها هيكل كهيكل الجسم ؛ فهي نسخة طبق الأصل منه لأنّها تتكوّن داخل الجسم فتأخذ شكله : فإنْ كان الجسم طويلاً فالنفس تكون طويلة أيضاً ، وإنْ كان الجسم قصيراً كذلك النفس تكون قصيرة ، وهكذا تكون أعضاؤها وحواسّها تشبه الجسم : فإنْ كان فم الجسم واسعاً فإنّ النفس يكون فاها واسعاً أيضاً ، وإنْ كانت عين الجسم صغيرة فإنّ النفس تكون عينها صغيرة أيضاً ؛ فإذا انفصلت النفس عن الجسم عند الموت فإنّها تبقى على هيكلِها لا تكبر ولا تصغر ، فالطفل يبقى طفلاً لا يكبر مدى الزمان والشاب يبقى شاباً لا يهرم مدى الزمان .

فالروح يطلق عليها لفظة (روح) قبل دخولها الجسم لأنّها مجموعة من ذرّات أثيرية ، ولكن إذا دخلت في الجسم وتألّفت تلك الذرّات اثيرية داخل الجسم فكوّنت هيكلاً أثيرياً يسمع ويبصر ويتكلّم ويعقل فلا يصحّ حينئذٍ أن تسمّى (روحاً) بل يكون اسمها (نفساً) . كما لا يصحّ أن تسمّى روح الجنين الذي في بطن أمّه (نفساً) لأنّه لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ، ولكن بعد ولادنه بأربعين يوماً يصحّ أن نسمّي روحه نفساً .

إذاً نطلق كلمة روح على الذرّات الأثيرية حين دخولِها للجسم أو بعد دخولِها بشهرٍ واحد ، والشاهد على ذلك قول عنترة :

يا عَبلَ حُبُّكِ في عِظامي مَع دَمي لَمّا جَرَت روحي بِجِسمي قَد جَرى

فهنا سمّاها روحاً ، وذلك حين دخولها جسمه .

وقال الله تعالى في سورة السجدة في قصّة آدم {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} فإنّ الله تعالى سمّاها هنا روحاً وذلك قبل دخولِها الجسم . وقال تعالى في سورة ص {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} .

فالروح إذا نشأت في الجسم وكان لَها هيكل أثيري و أخذت تسمع وتبصر وتعقل فلا يصحّ حينئذٍ أن تسمّى (روحاً) بل يكون اسمها (نفساً) ، والشاهد على ذلك قول عنترة :

وقد هانَ عندي بذلُ نفسٍ عزيزةٍ ولو فارقَتْني ما بَكَتْها جَوارِحي

وقال أيضاً :

لو سابَقَتْني المنايا وهيَ طالبةٌ قبضَ النفوسِ أتاني قبلَها السَّبقُ

وقال أيضاً :

أَقَمْنا بالذوابلِ سُوقَ حربٍ وَصَيَّرْنا النفوسَ لَها مَتاعا

وقال أيضاً :

لي النفوسُ وللطّيرِاللحومُ وللوحْشِ العِظَامُ وَلِلخَيَّالَةِ السَّلَبُ

وقال لبيد :

باتتْ تَشَكَّى إليَّ النفسُ مجهشةً وقد حَمَلْتُكِ سَبعاً بعدَ سَبْعينا

وقال الله تعالى في سورة الشمس {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} ، فقوله تعالى {وَمَا سَوَّاهَا} أي ومَنْ كوّنَها وألّفها من ذرّات أثيرية ، وذلك لأنّه تعالى لم يقل : وما خلقها ، بل قال{وَمَا سَوَّاهَا} فالخلقة تطلق على خلقة الأجسام وهذه اللفظة تطلق على تكوين النفوس . وقال تعالى في سورة الزمر{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا الخ} فهنا سمّاها سبحانه (نفساً) وذلك عند خروجها من الجسم ، وسمّاها نفساً أيضاً وهي داخل الجسم وذلك قوله تعالى في سورة يوسف {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ الخ} ، وقال تعالى{ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} .

والخلاصة أنّ النفس هي الروح لأنّها مجموعة من ذرّات أثيرية وكذلك الروح هي ذرّات أثيرية إلاّ أنّ الروح ليس لَها هيكل ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ، ولكنّ النفس تبصر وتسمع وتتكلّم وتعقل ، وبعبارة أخرى أقول إنَ النفس هي الإنسان الحقيقي .

سؤال ١: فما معنى قوله تعالى في سورة أسرى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} ؟

جواب : لمّا نزل قوله تعالى{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} وهي آية في سورة الشعراء ، قالت قريش : من هو الروح الأمين وما صفاته ولم لا نراه ؟ فنزلت هذه الآية {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الخ} ، والمعنى يسألونك عن جبرائيل {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} أي قل هو من مخلوقات ربّي الروحانية ، وهذه المخلوقات لا تراها المخلوقات المادّية {وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} لأنّ لدينا أنواعاً من المخلوقات الروحانية ، وأنتم لا ترونهم ولا تعلمون بِهم . فالروح هنا يريد به جبرائيل ؛ والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة مريم {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} والمعنى : فأرسلنا إليها جبرائيل فتمثّل لَها بشكل بشر . وقال تعالى في سورة البقرة {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} فروح القدس يريد به جبرائيل . وإذا شئت زيادة إيضاح فطالع كتاب (الروح في الإسلام) لمؤلّفه إبراهيم الكوّاز .

الروح

كل كلمة (روح) تأتي في القرآن يراد بِها جبرائيل ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} ، وقال تعالى في سورة البقرة {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} فروح القدس هو جبرائيل . وقال تعالى في سورة غافر {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} . وقال تعالى في سورة النحل {يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ} ، والمعنى : ينزّل الملائكة بتبعية جبرائيل على من يشاء أن يكون رسولاً لينذر الناس عن عبادة الأصنام والأوثان .

فالآيات كثيرة ونكتفي بِما ذكرناه منها دلالة على أنّ كلمة (روح) في القرآن يُراد بِها جبرائيل لا غير .

صفات النفوس

إعلم أنّ النفس هي ذرّات أثيرية تتألّف داخل الجسم ، أي يجتمع بعضها إلى بعض ويكون بينها تجاذب فتبني هيكلاً كهيكل الجسم ، فالعين المادّية تبني داخلها عيناً أثيرية ، والأذن المادّية تبني داخلها أذناً أثيرية ، واليد المادّية تبني داخلها يداً أثيرية ، وهكذا كلّ عضو من الأعضاء المادّية يبني داخله عضواً فيصبح هيكلاً أثيرياً داخل الهيكل المادّي أي داخل الجسم ويكون منه نسخة طبق الأصل إلاّ أنّ الأول مادّي والثاني أثيري ، ثمّ يأخذ الهيكل الأثيري في النموّ كلّما كبر الجسم ونَمى حتّى يقف الجسم عن النموّ والازدياد وذلك عند بلوغه مبلغ الرجال ، أو بِموته قبل بلوغه فيموت طفلاً أو صبياً فحينئذٍ تقف النفس عن النموّ ، وذلك لانفصالِها عن الجسم ، فتكون على قدر الجسم الذي انفصلت منه ؛فإن كان الجسم صبياً فإنّها تكون صبيّةً أيضاً وإن كان شاباً فالنفس تكون شابة أيضاً ، وإنْ كان الجسم مهزولاً فالنفس تكون مهزولة أيضاً ، وإنْ كان الجسم سميناً فالنفس تكون سمينة أيضاً . والخلاصة أنّ النفس تكون نسخة طبق الأصل فهي تشبه الجسم الذي نشأت فيه تماماً ، وبذلك قال المالكي ، وإليك ما جاء في كتاب (جامع المتون) قال :

ولا تَخضْ في الروحِ إذْ ما وَرَدا نصٌّ مِنَ الشارعِ لكنْ وجدا

لِمالكٍ هيَ صورةٌ كالجسدِ فحسبُكَ النصُّ بِهذا السنَدِ

إلاّ أنّ النفسَ لا تَهرم ولا تأخذ في النقصان ولا تفنى ولا يعتريها أيّ نقص ، مثلاً إذا كان الجسم سميناً مدّة شبابه ثمّ مرض وهزل فإنّ نفسه لا تكون مهزولة بل تبقى على ما كانت عليه في زمن الشباب ، وكذلك إذا هرم الجسم وصار شيخاً فإنّ نفسه لا تهرم بل تبقى على ما كانت عليه في زمن الشباب ، وكذلك لو نقص أحد

أعضاء الجسم فإنّ نفسه لا ينقص من أعضائها شيء لأنّها هيكل أثيري والأثير لا يفنى ولا يعتريه نقص [فقد روي عن النبيّ أنّه قال :" يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة غلفاً " أقول يحشرون بغلفهم لأنّهم نفوس أثيرية والأثيري لا ينتقص منه شيء .]

فمثلاً إذا عمي الإنسان في زمن شبابه أو بعد ذلك فإنّ نفسه لا تعمى بل تبقى مبصرة فإذا انفصلت عن الجسم عند الموت فإنّها تكون مبصرة فترى الأشياء وتشاهدها كما كانت تنظر وهي داخل الجسم في زمن شبابه بل يكون بصرها أقوى مِمّا كانت عليه وهي داخل الجسم . قال الله تعالى في سورة الحج {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} ، فبصر النفس لا يعمى بل يكون أقوى إذا انفصلت عن الجسم . قال الله تعالى في سورة ق {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} أي حادّ البصر.

وكذلك لو انكسرت يد الجسم أو رجله أو عضو آخر من أعضائه فإنّ النفس لا يعتريها خلل بل تكون سالمة من كلّ نقص ، إلاّ إذا كان الجسم ناقصاً وهو في بطن أمّه فيولد وينشأ وهو ناقصٌ عضواً من أعضائه حتّى يموت فإنّ النفس في هذه الحالة تكون ناقصة أيضاً لأنّها تتكوّن داخل الجسم فتأخذ شكله ، مثلاً إذا وُلد طفل وهو أعرج وبقي أعرج حتّى الممات فإنّ نفسه تكون عرجاء أيضاً ، وكذلك لو وُلد طفل وله يد واحدة وعاش سنين ثمّ مات فإنّ نفسه يكون لَها يد واحدة أيضاً لأنّها تكوّنت في ذلك الجسم، فالجسم ما هو إلاّ قالب لتكوين النفس وإنشائها . ومثال ذلك ما يُصنع من الإسمنت كالهياكل والمزهريّات والأعمدة و غير دلك : فإذا أردنا أن نصنع تمثالاً من الإسمنت أو مزهرية أو شيئاً آخر فينبغي أن نصنع أوّلاً قالباً من الخشب على الشكل المطلوب ثم نأتي بالإسمنت ونخلطه مع الرمل والحصى ونبلّه بالماء ثمّ نصبّه داخل القالب الذي هو من الخشب ونتركه على الأقلّ مدّة اثنتي عشرة ساعة لكي تتماسك ذرّات الإسمنت بالحصى ويصبح هيكلاً صلباً لا يتفتّت يعد ذلك ، ثمّ إنّنا ننزع القالب عن الهيكل ونرمي به ونأخذ الهيكل المصنوع من الإسمنت حيث هو مطلوبنا ، ولو فرضنا أنّنا نزعنا القالب عن الهيكل قبل انتهاء المدّة المطلوبة لوجدنا ذرّات الإسمنت غير متماسكة ولأصبح الهيكل متهدّماً بأدنى احتكاك ، فهكذا حكم النفس داخل الجسم : فلنجعل الجسم مقام القالب المصنوع من الخشب ، ولنجعل ذرّات الأثير مقام الإسمنت ، فكما أنّ الإسمنت لا تتماسك ذرّاته إلاّ بعد المدّة المطلوبة ، كذلك ذرّات الروح لا تتماسك داخل الجسم إلاّ بعد ولادة الجنين بأربعين يوماً ، فتصبح تلك الذرّات الأثيرية بعد الأربعين يوماً نفساً باصرة سامعة واعية باقية .

أمّا إذا مات الجنين في بطن أمّه أو بعد ولادته ببضعة أيّام فإنّ تلك الذرّات الأثيرية التي للروح تتلاشى وتذهب أدراج الرياح لأنّها لم تتماسك تماماً في هذه المدّة القصيرة كما أنّ ذرّات الإسمنت لم تتماسك إذا لم تنتهِ عليها المدّة المطلوبة وهي داخل قالب الخشب ، فلذلك لا يصحّ أن نسمّي روح الجنين الذي في بطن أمّه (نفساً) لأنّها تتلاشى إذا مات الجنين ولأنّها لا تسمع ولا تبصر ولا تعي ، فالنفس بخلاف ذلك .

فالغاية من هذا الجسم المادّي هي النفس لأنّها الإنسان الحقيقي ، كما أنّ الغاية من صناعة قالب الخشب هي هيكل الإسمنت ، فإذا كمل الهيكل الأثيري ونشأ فلا حاجة بعد ذلك إلى الجسم بل يكون ثقلاً عليها وسجناً لَها .

حواسّ النفس

قلنا فيما سبق أنّ النفس لَها حواسّ وأعضاء كما للجسم إلاّ أنّها أثيرية ، وأقول أيضاً أنّ حواسّ النفس لَها أسماء خاصة غير الأسماء التي لحواسّ الجسم ؛ مثلاً إنّ فم الجسم يسمّى فم ولكنّ فم النفس يسمّى (فاه) ، وإنّ عين الجسم تسمّى عين ولكنّ عين النفس تسمّى (بصر) ، وإنّ أذن الجسم تسمّى (أذن) ولكنّ أذن النفس تسمّى (سمع) ، وإنّ قلب الجسم يسمّى قلب ولكنّ قلب النفس يسمّى (فؤاد) .

قال الله تعالى في سورة السجدة في قصّة آدم {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} فقوله تعالى{ثُمَّ سَوَّاهُ} أي سوّى جسمه وأكمل خلقه ، ثمّ قال {وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} وبعد ذلك قال {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} فانظر أنّه سبحانه لم يقل : وجعل لكم الآذان والعيون والقلوب ، لأنّه خلقه كامل الأعضاء بقوله {ثُمَّ سَوَّاهُ} ، والمعنى : جعل لنفسه آذاناً وعيوناً وقلباً كما جعل لجسمه ، وكذلك لَمّا خلق أجسامكم وأنشأ فيها النفوس جعل لَها أذاناً وعيوناً وقلوباً كما جعل للأجسام .

وقال تعالى في سورة المؤمنون {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ، فقوله تعالى {أَنشَأَ لَكُمُ } يعني أنشأ لنفوسكم ، لأنّ المخاطب بذلك النفوس فهي الإنسان الحقيقي ، والسمع أذن النفس ، والبصر عين النفس ، والفؤاد قلب النفس .

وقال تعالى في سورة الملك {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ، فقوله تعالى {أَنشَأَكُمْ } يعني أنشأ نفوسكم وجعل لَها السمع والأبصار والأفئدة ، والدليل على ذلك قوله {أَنشَأَكُمْ } ولم يقل خلقكم فالخلقة يريد بِها خلقة الأجسام ، أمّا الإنشاء فيريد به تأليف النفوس من ذرّات أثيرية .

وقال عزّ من قائل في سورة النحل{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ، فقوله تعالى {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } ينبغي أن يكونوا كاملي الخلقة فلهم عيون وآذان وقلوب لأنّ الطفل لا يخرج من بطن أمّه إلاّ وهو كامل الخلقة فكيف يقول بعد خروجه {وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ } إذاً يريد بذلك حواسّ النفس ، والمعنى يكون هكذا : وبعد خروجكم من بطون أمّهاتكم جعل لنفوسكم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً لعلّكم تشكرون . وقال تعالى في سورة الأحقاف {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ ...الخ}

ومِمّا جاء في أعضاء الجسم قوله تعالى في سورة الحج{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ...الخ} ، فانظر هنا سمّاها سبحانه قلوباً وآذاناً وهناك سمّاها أفئدةً وأسماعاً ، لأنّه

هناك يريد بِها الحواسّ الأثيرية التي للنفوس وهنا يريد بِها الحواسّ المادّية التي للأجسام ، والمعنى أنّهم كالأموات لَهم قلوب ولكن لا تعقل ولهم آذان ولكن لا تسمع . وقال تعالى في سورة الأعراف {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} . وقال تعالى في سورة نوح عن لسان نوح {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ...الخ} ، فذكرها هنا بلفظة (آذان) ولم يسمّها (أسماع) لأنه يريد بِها آذانهم المادّية حيث وضعوا أصابعهم فيها . وقال تعالى في سورة المائدة {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ...الخ} ، فهنا سمّاها سبحانه عيناً وأذناً ولم يسمّها بصراً وسمعاً لأنّه يريد بِها الأعضاء المادّية التي للجسم لأنّ الحواسّ الأثيرية لا يعتريها خلل فيكون في حكمها قصاص . وقال تعالى في سورة الأحزاب {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ...الخ} فهنا قال تعالى {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} ولم يقل : تدور أبصارهم ، لأنّه يريد بِها أعينهم المادّية التي للأجسام . وقال تعالى في سورة السجدة {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ...الخ} . وقال تعالى في سورة البقرة {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ} فهنا أيضاً سمّاها آذاناً ولم يسمّها أسماعاً لأنّه يريد بذلك أعضاء الجسم .

بيان : سأل الإمام علياً (ع) رجلٌ اسمه دعلب قائلاً : "هل رأيت ربّك ؟" فأجاب الإمام : "إنّ الله لا تراه العيون بمشاهدة الأبصار ...الخ" ، فهنا دليل على أنّ الأبصار غير العيون ، فالعيون لا ترى إلاّ بمشاهدة الأبصار ، فتكون المشاهدة للبصر لا للعين .

الكلام والنطق

الكلام هو ما يلفظ به الإنسان فيفهم به الشخص المخاطَب سواءً كان بصوت مرتفع أو منخفض ، أو بلا صوت أو بالإشارة كما قال الشاعر :

حواجبُنا تَقضي الحوائجَ بينَنا نحنُ سكوتٌ والهوى يتكلّمُ

يعني : إنْ كان للهوى صوت فليس لكلامنا صوت بل نتكلّم بالإشارة فيفهم بعضنا بعضاً . وقال الله تعالى في سورة يس {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ، فقوله تعالى{ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ } يعني بالإشارة لا بالنطق ، والغاية من الكلام تفهيم الشخص المخاطب بما أراد المتكلّم . أمّا النطق فهو الكلام الذي يكون له صوت فيفهم به الشخص المخاطَب ، فإذا لم يكن له صوت فلا يسمّى نطقاً ،

فيصحّ أن نقول إنّ الإنسان يتكلّم و يصحّ أيضاً أن نقول إنّ الإنسان ينطق ، ولكن لا يصحّ أن نقول أنّ النفوس تنطق لأنّ كلامَها ليس له صوت نسمعه ، ولكن يصحّ أن نقول إنّ النفوس تتكلّم .

قال الله تعالى في سورة النجم {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} ، ومعناه أنّ النبيّ (ع) مهما تكلّم بكلامٍ فصيح وأسمعكم بنطقٍ بليغ لم يكن ذلك من نفسه بل هو من الله تعالى أرسله إليه وعلّمه إيّاه ، وذلك قوله تعالى في سورة المرسَلات {هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } يعني ليس لهم استطاعة على النطق لأنّهم نفوس أثيرية ، ولا يؤذن لهم بالكلام في العذر فيعتذرون . وقال تعالى في سورة النمل {وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ} .

تكوين النفوس في الأجسام

قلنا فيما سبق أنّ النفس تتكوّن داخل الجسم المادّي وتنمو كلّما نمى الجسم وتكبر حتّى تصبح نفساً سامعة باصرة واعية عاقلة لا يعتريها خلل ولا نقص ، وذلك لأنّ الأجسام تتكوّن من مادّة حيّة نامية وسائل حيوي .

فالمادّة الحيّة تكون جاذبة للأثير مهما دامت على قوّة نموّها ، فإذا وقفت عن النموّ فحينئذٍ تعجز عن جذب الأثير إليها ، ويكون ذلك عند انتهاء شباب الإنسان ، فحينئذٍ تأخذ النفس حدّها ولا تنمو بعد ذلك ، ولذلك تكون نفوس الشيوخ والعجائز شابّة لا تهرم ، فالنفوس إذاً لا شيخ بينها ولا عجوز .

وأمّا السائل الحيوي فإنّه يكون موصلاً بين الأثير والأجسام أي هو همزة وصل بين النفوس والأجسام ، فإذا انتهى السائل الحيوي من الجسم أو تأكسد فالنفس تنفصل حينئذٍ عن الجسم ولا يبقى لَها اتّصال ، فعند ذلك يكون الموت .

فالمادّة التي تتكوّن منها الأجسام كائنة من شيئين : مادّة حية وسائل حيوي ؛ فالمادّة الحية هي التي يتكوّن منها جسم الجنين في بطن أمّه بعد اتّصال حيمن الرجل ببويضة المرأة لأنّها مجموعة من حجيرات دقيقة .

أمّا السائل الحيوي فيكون سبباً في اتّصال النفس بالجسم ، ولو لم تكن النطفة مادّة حية لَما أخذت في النموّ والازدياد ، وفي ذلك قال الشاعر :

إحفظْ منيّكَ ما استطعتَ فإنّه ماءُ الحياة يُصَبُّ في الأرحامِ

[مثل بطارية السيارة]

ولِنعطِكَ مثلاً في ذلك : إنّ الباتري الذي يستعمل في السيّارات لإضاءة المصابيح يتركّب من ثلاثة أشياء :

أوّلاً – صندوق أسود من الزفت والفحم وفيه ألواح من الرصاص ،

ثانياً – حامض كبريتيك مخفّف ،

ثالثاً– تيّار كهربائي .

فلنجعل جسم الإنسان بمثابة الصندوق ولنجعل السائل الحيوي مقام حامض الكبريتيك ولنجعل النفس مقام التيار الكهربائي ؛ فحامض الكبريتيك هو سبب اتصال التيار الكهربائي في الباتري ولولا الحامض لَما اتّصل التيار بالباتري ، ولو أننا أخلَينا الباتري من الحامض لأصبح لا يقبل التيّار ، لأنّ الحامض هم همزة وصل بين التيّار والباتري .

فكذلك يكون حكم السائل الحيوي بين النفس والجسم ؛ فالنفس يكون اتّصالُها بالجسم ما دام السائل الحيوي موجوداً فيه ، فإذا تأكسد السائل الحيوي فإنّ النفس تنفصل عن الجسم ولا يبقى لَها اتّصال ، وذلك هو الموت . فالموت ما هو إلاّ انفصال النفس عن الجسم بسبب تأكسد السائل الحيوي الذي في الجسم أو بأيّ عارض آخر كالقتل أو الحرق أو الغرق وما أشبه ذلك .

فجسم الجنين إذا تكوّن في بطن أمّه فإنّه يأخذ في جذب ذرّات الأثير إليه ويبني داخله هيكلاً أثيرياً يكون نسخة طبق الأصل ويبقى مستمرّاً على جذب الأثير عند ولادته حتّى ينتهي زمن شبابه فحينئذٍ يعجز عن جذب الأثير إليه فتأخذ النفس حدّها ولا تكبر بعد ذلك .

أمّا السائل الحيوي الذي في الجسم فلا تنتهي قواه عند انتهاء زمن الشباب بل يبقى واصلاً بين النفس والجسم حتّى الموت . فتكوين النفس داخل الجسم يكون عن جذب الجسم لذرّات الأثير ، وكذلك كلّ مادّة حية تكون جاذبة للأثير وتبني داخلها هيكلاً أثيرياً يشبه الهيكل المادّي تمام الشبه سواءً حيواناً كان أم أنّه إنسان أم نبات .

قال الله تعالى في سورة المؤمنون {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } فقوله تعالى{ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} يعني غير الذي خلقه أوّلاً وهو الذي مرّ وصفه من أنّه خلقه من طين ثمّ من نطفة إلى غير ذلك ، فالخلق الأوّل الذي مرّ وصفه مادّي ، والخلق الآخر أثيري ، ويريد بذلك النفس ، والدليل على ذلك قوله تعالى{ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ} ولم يقل : ثمّ خلقناه ؛ لأنّ الخلقة تكون للمادّيات والإنشاء يكون للأثيريات أي للنفوس ، ولفظة إنشاء معناها التأليف و التجمّع والتجاذب .

الجنين لا يسمع ولا يبصر

قلنا فيما سبق أنّ النفس لَها أعضاء وحواسّ كما للجسم فهي من هذه الوجهة بخلاف الروح إذ أنّ الروح ليس لَها حواسّ ولا أعضاء بل هي كالهواء وأقول إنّنا نرى الأشياء ونعرف الألوان بأبصارنا لا بأعيننا أي نرى بعين النفس الأثيرية لا بعين الجسم المادّية ، وإنّ العين المادّية عمياء لا ترى شيئاً وما الرؤيا إلاّ للعين الأثيرية ، فالعين المادّية ما هي إلاّ قالب لتكوين العين الأثيرية . وكذلك السمع فإنّنا لا نسمع بآذاننا بل السمع يكون للأذن الأثيرية . والكلام أيضاً يكون مصدره من فم النفس فإذا تحرّك فاه النفس بالكلام حرّك معه فم الجسم فيخرج الصوت منه ، فالفم المادّي إذاً ما هو إلاّ آلة مكبّرة للصوت [وهذا معنى قوله تعالى في سورة طه{وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} لفقد النفوس مكبّرات الصوت – الشارح] .

وكذلك القلب المادّي فإنّه لا يعي ولا يفهم وإنّما الفهم والإدراك يكون للفؤاد أي لقلب النفس ، وبعبارة أخرى أقول أنّ النفس هي التي تسمع وتبصر وتتكلّم وتعي وتعقل ، أمّا الجسم فإنّه لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ، فالجسم ما هو إلاّ قالب تكوّنت فيه النفس ، فمثال ذلك كمثل بيضة تكوّن فيها فرخ ، فالجسم مثله كمثل قشر البيضة ، والنفس مثلها كالفرخ الذي تمّت خلقته داخل القشر ثمّ خرج منه ،

(مثل النفس و الجسم كمثل الفرخ وبيضته)

وإليك تجارب تعرف بِها صحّة ذلك :

أوّلاً – أدنُ من رجلٍ نائم وتكلّم عنده بما شئت فإنّه لا يسمع من ذلك شيئاً ، ثمّ افتح إحدى عينيه بإصبعك وقل له "مَن أنا؟" فإنّه لا يراك ولا يجيبك بشيء، بشرط أن لا ينتبه من نومه ، ولو أنّك أخذت شيئاً من متاعه فإنّه لا يراك .

ثانياً – لو أتيت رجلاً أعمى وسألته : "هل ترى في منامك شيئاً ؟" لأجابك : "إنّي أكون بصيراً في المنام وأعمى في اليقظة" لأنّ الأعمى يرى في منامه كما يرى البصير في اليقظة ، فهو يرى الأشياء والألوان كما هي ، وما تلك الرؤيا إلاّ لعين النفس لأنّ عينه المادّية عمياء لا ترى شيئاً . ثمّ إنّك لو سألت رجلاً أبكم لأجابك بأنّي أتكلّم في المنام وأبكم في اليقظة .

ثالثاً – أدنُ من طفلٍ رضيع واجلس عنده بشرط أن لا يتجاوز عمره عشرة أيّام ، ثمّ اصرخ عند رأسه فإنّك ترى الطفل لا يتململ ولا يبكي لأنّه أصمّ لا يسمع من صوتك شيئاً ، ثمّ اعمل معه تجربة ثانية وهي أن تمرّر يدك على عينه فإنّك تراه لا يغمض عينيه ولا يرتدّ إليه طرفه وذلك لأنّه أعمى لا يرى شيئاً ، ثمّ تأمّل عينيه وانظر إلى حدقتيه ترى نظره لا يتّجه نحو شيء من الأشياء بل يكون كالأعمى ، ثمّ تأمّله حين يرضع ثدي أمّه فإنّه لا يرى الحلمة لكي يلتقمها رأساً بل يأخذ في تحريك رأسه يميناً وشمالاً حتّى تنزل الحلمة في فمه فحينئذٍ يلتقمها . أمّا وعيه فهو شيء معلوم بأنّ الطفل لا يعي ولا يفهم إلاّ بعد ولادته بثلاثة أشهر ، وذلك لأنّ الطفل حين ولادته لم يكن له سمع ولا بصر ولا فؤاد بل تتكوّن له بالتدريج وذلك عند تجاذب تلك الذرّات الأثيرية التي تكوّنت منها النفس ، فإذا تجاذبت تلك الذرّات الأثيرية بعد زمن يسير فإنّك تراه يسمع ويبصر ويعي ، وذلك لأنّ نفسه تكوّنت لَها حواسّ أثيرية في هذه المدّة .

ولتعمل تجربة أخرى تعرف بِها صحّة ذلك ، أدنُ من الطفل الذي عملت معه التجربة الأولى واجلس عنده "بشرط أن يكون قد مضى من عمره أربعين يوماً" ثمّ اصرخ عنده صرخة خفيفة ، ويكفي لذلك أن تعطس عند رأسه فإنّك تراه ينتبه ويصرخ باكياً لِما أزعجه من صوتك فكأنّما ضربته بالعصا لأنّه صار يسمع ، ثمّ أمررْ يدك على عينيه تراه يغمض عينيه ويرتدّ إليه طرفه لأنّه صار يبصر ، ثمّ تأمّل حدقتيه ترى نظره يتّجه نحو الأشياء وبالأخصّ نحو الضياء ، ثمّ تأمّله حين ترضعه أمّه تراه يلتقم حلمة ثديِها دفعة ولا يحرّك رأسه كما كان يفعل أوّلاً ، فمن ذلك تعرف أنّ الطفل في هذه المدّة القصيرة تكوّن له سمع وبصر وفؤاد بعدما كان لا يسمع ولا يبصر ولا يعي .

قال تعالى في سورة النحل {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } فقوله تعالى {وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ} يعني بعد خروجكم من بطون أمّهاتكم جعل لنفوسكم أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً لعلّكم تشكرون . فالأسماع هي آذان النفوس ، والأبصار هي عيون النفوس ، والأفئدة هي قلوب النفوس ، والأفئدة هي قلوب النفوس . وقال تعالى في سورة المؤمنون {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ، وقال عزّ من قائل في سورة السجدة {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} .

وقال تعالى في سورة الملك {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} فقوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ } يعني أنشأ نفوسكم ، لأنّه تعالى قال {أَنشَأَكُمْ } ولم يقل خلقكم . و قال تعالى في سورة الكهف {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} ، فبيّن سبحانه أنّ الكلام يكون خروجه من الفاه لا من الفم ، فالفاه هو عضو النفس ، والفم هو عضو الجسم . و قال تعالى في سورة آل عمران {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} .

المادّة والأثير

سؤال ٢ : فما هي المادّة وما هو الأثير ؟

جواب : المادّة كلّ شيء نراه بأعيننا أو نلمسه بأيدينا ، وذلك كالجماد والنبات والحيوان والإنسان وغير ذلك مِمّا تراه العيون أو تلمسه الأيدي ، والمادة لا تدوم على حالتها فهي صائرة إلى الخراب والزوال، ولولا المخلوقات المادية لَما تكوّنت المخلوقات الأثيرية لأنّ الماديات هي قوالب لتكوين الأثيريات . قال الله تعالى في سورة الطور {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} فكلمة "شيء" يريد بِها المادة ، وذلك كقوله تعالى في سورة القصص {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } يعني كلّ مادة تتمزّق وتتلاشى ، وقوله أيضاً في سورة الذاريات {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} يعني من كلّ نوع من المخلوقات المادية خلقنا زوجين ، أي ذكراً وأنثى ، فقوله تعالى {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} يعني هل تكوّنت نفوس هؤلاء الملحدين بغير أجسام مادية فيقولون أنّ الأثير موجود في الفضاء من الأزل وأنّ نفوسنا تكوّنت من الأثير لا مكوّن لّها ؛ نعم تكوّنت من الأثير ولكن من خلق الأجسام التي تكوّنت فيها نفوسهم ؟ أليس الله خلقها وكوّن نفوسهم فيها ؟ {أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} لتلك الأجسام ؟ كلاّ فإنّ الله هو الذي خلقها وخلق السماوات والأرض ومن فيهنّ .

فالأثير يشبه الهواء ولكنّه غير الهواء لأنّ الهواء مادي والأثير نوع آخر ، وذرّات الأثير أدقّ من ذرّات الهواء : مثلاً إنّ الرمل يتخلّل الحصى لأنّه أدقّ منه ، والماء يتخلّل الرمل لأنّ ذرّات الماء أدقّ منه ، والماء يتخلّل الرمل لأنّ ذرّات الماء أدقّ من ذرّات الرمل . فالأثير يتخلّل الهواء لأنّ ذرّاته أدقّ من ذرّات الهواء . والأثير يملأ الفضاء . وذرّات الأثير إذا دخلت في شيء مادي وبقيت فيه زمناً فإنها تتماسك ولا تنفكّ بعد ذلك ، والأثير لا يفنى ولا يتمزّق ولا يتهدّم ولا يطرأ عليه أيّ عارض ، فإن كنّا قد نشأنا في علم مادي فانٍ فسننتقل عن قريب إلى عالمٍ أثيريٍّ باقٍ لا فناء له ، ويكون ذلك عند موتنا أي عند انفصال نفوسنا عن الأجسام ؛ فكما لنا في الدنيا متاع وأثاث من المادّيات كذلك في عالم الأثير لنا متاع وأثاث من الأثير ، ولكنّ الفرق بين الاثنين هو أنّ الذي في الدنيا فانٍ لا بقاء له لأنّه مادّي ، ولكنّ الذي ننتقل إليه باقٍ لا يفنى لأنّه أثيري . وكما لنا دور وقصور في الدنيا من المادّة ، كذلك في عالم الأثير لنا دور وقصور ، ولكنّ الفرق بينهما أنّ دورنا تتهدّم لأنّها من المادّة ولكنّ التي في عالم الأثير باقية إلى الأبد لا تتهدّم لأنّها أثيرية . وكما لنا في الدنيا نبات وأشجار ، كذلك في الآخرة لنا نبات وأشجار وأثمار أثيرية .

والخلاصة أنّ كلّ شيء مادّي فهو يتمزّق ويزول ولكن كلّ أثيري باقٍ لا يفنى ولا يزول . قال الله تعالى في سورة النحل {ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللهِ باقٍ} ، وقال تعالى في سورة الأعلى {بَلْ تُؤثِرُونَ الحياةَ الدُّنْيا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأبْقَى} ، وقال تعالى في سورة شورى {فَما أوتِيتُمْ مِنْ شَيءٍ فَمَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا ، وما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأبْقَى لِلّذِينَ آمَنُوا وعلى ربِّهِمْ يَتَوَكّلُون .}

واجبات الجسم والنفس

إعلم أنّ الأعمال التي يقوم بِها الجسم غير الأعمال التي تقوم بِها النفس وأنّ واجبات النفس لا يتمكّن عليها الجسم ، أمّا الأعمال التي يقوم بِها جسم الإنسان هي ما يأتي :

أوّلاً : النموّ ما دام شاباً ، فالجسم يأخذ في النموّ والازدياد حتّى ينتهي زمن شبابه فيقف حينئذٍ عن النموّ ، وذلك لأنّ الجسم مكوّن من حجيرات حيّة .

ثانياً : الدورة الدمويّة ، فالدم مستمرّ على الدوران في الأوردة والشرايين حتّى الموت .

ثالثاً : الجهاز التنفّسي ، فالرئة مستمرّة على أخذ الأوكسجين وإخراج ثاني أوكسيد الكاربون حتّى الموت .

رابعاً : الجهاز الهضمي ، فالمعدة مستمرّة على هضم الطعام حتّى الموت .

خامساً : النوم ، فالنوم من حواسّ الجسم ليس على النفس منه شيء لأنّ النفس لا تنام .

فهذه الأعمال التي يقوم بِها الجسم خاصةً وليس للنفس عليها شيء من ذلك ، فإذا خرجت النفس من الجسم عند النوم فالجسم يبقى مستمراً على أعماله التي سبق ذكرها لا حاجة له بالنفس .

أمّا النفس فمن واجباتِها السمع والبصر والكلام والتفكير والشعور بالآلام واللّذات وغير ذلك ؛ وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين :

[القسم الأوّل] فمنها ما تكون مشتركة بين النفس والجسم ، لأنّ أعضاء الجسم هي آلات موصلة لأعضاء النفس وحواسّها ، فالكلام مثلاً يكون مصدره من النفس ولكن لا يكون له صوت إلاّ إذا خرج من فم الجسم ، كما أنّ النائم يتكلّم في الرؤيا ويصرخ ولكن لا يكون له صوت حتّى أنّ من كان جالساً عنده لا يسمع صوته . وكذلك حمل الأثقال : فالنفس هي التي تحمل ، ولكن لولا أعضاء الجسم لَما أمكنها حمل شيءٍ من ذلك ؛ لأنّ النفوس لا يمكنها حمل المادّيات ولو كانت ريشة طائر .

وأمّا القسم الثاني فهو يختصّ بالنفس وذلك الذي سبق ذكره وهو كالسمع والبصر وغير ذلك ؛ لأنّ جسم النائم لا يسمع ولا يبصر ولكن النفس تسمع وإن كان الجسم نائماً ، ولذلك يرى الأعمى في منامه كما يرى البصير في اليقظة لأنّ البصر والسمع يختصّ بالنفس ، فمثال النفس مع الجسم كمثل السائق مع السيّارة ؛ فلنجعل الجسم مقام السيّارة ولنجعل النفس مقام السائق ، فكما يجوز للسائق أن يترك السيّارة واقفة وهي تشتغل ثمّ يعود إليها بعد ساعة ، فالسيّارة لا حاجة لَها في السائق في هذه المدة لأنّها واقفة في مكانِها ولكن آلاتها مستمرّة في الحركة ، فكذلك النفس يجوز لَها أن تترك الجسم نائماً وهو مستمرّ على واجباته ثمّ تعود إليه بعد ساعة ، فالجسم في هذه الساعة لا حاجة له في النفس ، وكما أنّ السائق هو الذي يقود السيّارة ويوجّهها أين ما أراد فكذلك النفس هي التي تسوق الجسم وتوجّهه أينما أرادت ، فالنفس آمر والجسم مأمور لَها مطيع لأمرها ، فالجسم إذاً ما هو إلاّ آلة تستعملها النفس بِما أرادت وتوجّهه ما شاءت .

النوم

قلنا فيما سبق أنّ النفوس لا تنام وإنّما النوم يكون للأجسام المادّية وذلك لِما يصيبها من التعب فإذا نامت فإنّها تستريح ، قال الله تعالى في سورة النبأ {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا } أي راحة . ويكون سبب النوم بواسطة النخاع الشوكي والمخيخ . والنوم يكون على قسمين : اتّصالي وانفصالي .

فالنوم الاتّصالي هو أن تبقى النفس متّصلة بالجسم وقت النوم لا تخرج منه تماماً ، وعلامته أن يحرّك النائم يديه أو رجليه وقت نومه في بعض الأحيان وإذا ناديته انتبه من نومه حالاً ، فهؤلاء يكون السائل الحيوي كثير الوجود في أجسامهم .

وأمّا الثاني وهو النوم الانفصالي فإنّ النفس تنفصل عن الجسم تماماً عند النوم ويبقى الجسم بلا نفس ، فتذهب النفس للسياحة إلى حيث شاءت وتترك الحسم نائماً فتذهب إلى مسافة بعيدة فترى بطريقها ما تراه وتسمع ما تسمعه وتأكل وتشرب ونكلّم من صادفته من النفوس إن شاءت ثمّ ترجع إلى الجسم فحينئذٍ ينتبه الإنسان من نومه ، وهؤلاء يكون السائل الحيوي قليل الوجود في أجسامهم لأنّ السائل الحيوي هو السبب في اتصال النفوس في الأجسام .

قال الله تعالى في سورة الزمر {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} فلفظة (موت) معناها الانفصال ، والشاهد على ذلك قول الأعشى :

وَعُلّقَتْهُ فَتَاةٌ مَا يُحَاوِلُهَا مِنْ أهلِها مَيّتٌ يَهْذِي بِهَا وَهِلُ

فقول الشاعر " مِنْ أهلِها مَيّتٌ " ، يعني من أهلها منفصل ، والدليل على ذلك قوله " مَا يُحَاوِلُهَا" ، والمعنى لا يمكنه أن يحاول تلك الفتاة لأنه منفصل من أهلها فلا يمكنه أن يعود إليهم ويحاول تلك الفتاة .

وإليك تفسير الآية فقوله تعالى {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} بعني حين تكون النفوس في قبضته حين انفصالها من الأجسام سواءً كانت ميّتة أم نائمة بنوم انفصالي ، {وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} تقديره : ويتوفّى النفوس التي لم تمت في منامها ، والمعنى : ويتوفّى النفوس التي لم تنفصل من أجسامها وقت منامها . والمعنى : كلّ النفوس تكون في قبضته سواءً كانت ميّتة أم نائمة بنوم انفصالي أو نوم اتصالي ، {فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} أي فيمسك عنده ، يعني في عالم الأثير ، التي حكم عليها بالموت {وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى} إلى أجسامِها لتعيش في الدنيا إلى وقتٍ معيّن ، ويريد بالأخرى التي لم يحكم عليها بالموت ، أي التي لم يأتِ أجلها {إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} يعني إلى اليوم المقدّر فيه أن ينتهي أجلها .

قال تعالى في سورة الأنعام {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} ، فقوله تعالى {يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ} يعني يتوفّى نفوسكم من أجسامكم بالليل أي وقت النوم ، والمعنى تكون نفوسكم في قبضته في الليل لأنّها تنفصل عن الأجسام وقت النوم .

ويكون سبب خروج النفس من الجسم عند النوم لشيئين :

أوّلاً : لأنّ النائم تتراخى أعضاؤه فتطلق حينئذٍ قيود النفس من الجسم .

ثانياً : تغتنم النفس فرصة سكون الجسم عن الحركات فتأمن ثقله ومشاقّه عليها فترغب حينئذٍ في السياحة في عالم الأثير ،فإذا رأت شيئاً تخافه أو سمعت صوتاً أزعجها رجعت إلى الجسم مسرعةً لأنّ الجسم يقيها من المؤثّرات الخارجية ، ولأنّ الصوت الضعيف يكون عندها قوياً والقويّ يكون عندها مزعجاً .

وإليك حادثة أذكرها بمقام شاهد فأقول :

كنت يوماً نائماً وقت الظهر وكان لي طفل يلعب في الدار فجاء إلى باب الغرفة التي كنت نائماً فيها وصار يضرب على الباب ضربات خفيفة متوالية ، فرأيت في المنام كأنّ لجارنا عرساً وعندهم العبيد وهم يضربون الطبول والمزامير ، فانتبهت من نومي على أثر تلك الضوضاء فلم أجد شيئاً من ذلك سوى ذلك الطفل وهو يضرب على الباب بضربات لطيفة بحيث من كان في الغرفة الثانية لا يسمعها . وكثيراً ما نصادف مثل هذه الحادثة ، وما يكون ذلك إلاّ لقوّة حواسّ النفس .

حادثة إغماء

وإليك حادث أخر أذكره عن كتاب "الأرواح" للشيخ طنطاوي جوهري في صفحة ١٦ قال :

"روى الدكتور جيبيه في كتابه (تحليل الأشياء) ما يأتي تعريبه :

حدّثني شابّ له من العمر ثلاثون سنة نقّاش ماهر في صناعته قال : دخلت منذ أيام منزلي نحو الساعة العاشرة ليلاً وقد اعتراني نوع غريب من الإعياء فأوقدت المصباح ووضعته على مائدة بالقرب من سريري ثمّ أشعلت سيكارة وتمدّدت على مقعدي قصد الاستراحة . وما كدت أسند رأسي إلى ظهر الكرسي حتّى شعرت بالأشياء المجاورة أخذت تدور من نفسها واعترتني دوخة شديدة انتقلت على أثرها فجأة ومن دون انتباه إلى وسط الغرفة فعجبت لِهذا الانتقال الغريب .

ولا تسل عن اندهاشي لمّا نظرت إلى ما حولي فرأيت جسمي متمدّداً على المقعد برخاوة ويساري مرفوعة على رأسي والسيكارة بين أصابعها . ففي أوّل وهلة ظننت نفسي نائماً وأنّ ما أراه حلماً وإذ لاحظت بعد هنيهة أنّي لم أرَ قطّ حلماً واضحاً كهذا خلتُ نفسي ميّتاً ، وإذ ذاك خطر على ذهني ما كنت سمعته عن وجود الأرواح وقلت في ذاتي أنّي أصبحت روحاً وتذكّرتُ كلّ ما قيل لي في هذا الموضوع وأسفت بمرارة على نهاية حياتي قبل إكمال بعض أعمالي .

ثمّ دنوت من جسمي الذي كنت أخاله جثّة فرأيت فيه من حركة التنفّس ما نبّه خاطري ونظرت إلى صدره فعاينت القلب من داخله يطرق بنظام طرقات ضعيفة فتأكّدت حينئذٍ أن قد اعتراني إغماء غريب في بابه وقلت في نفسي إن من يُغشى عليهم لا يتذكّرون ما يصيبهم وقت الإغماء وخفت أن أفقد ذكر ما أراه بعد إفاقتي من الغشيان . وإذ أمنت قليلاً أمر الموت صرفت ذهني إلى ما حولي وتغاضيت عن جسدي الراقد على المقعد فنظرت إلى المصباح وإذ رأيته مشتعلاً بالقرب من سريري خفت على الستائر أن تلتهب بفعل الحرارة فقصدت أن أطفئ المصباح فأمسكت زرّ الفتيلة وعبثاً حاولت برمه مع أنّي كنت أشعر جيّداً بدقائق الزرّ بين أصابعي ولكنّي لم أقوَ على تحريكه بتاتاً . ثمّ صرفت نظري إلى نفسي فرأيت ذاتي كأنّي متّشح بلباس أبيض ويدي تخترق جسمي بسهولة وإذ وقفت تجاه المرآة فبدلاً من أن أرى صورتي مرتسمة عليها شعرت بنظري يمتدّ إلى ما وراءها فرأيت الجدار ومؤخّر الصور والأمتعة الموجودة في غرفة جاري مع أنّه لا وجود للنور فيها ؛ إنّما كنت أستضيء بشعاع نور ينبعث من صدري وينير الأشياء الواقع نظري عليها .

فخطر ببالي أن أدخل غرفة جاري التي لم أرها قطّ قبلاً وهو كان متغيّباً وقتئذٍ عن باريس فما كدت أشعر برغبتي هذه حتّى عاينت نفسي داخل الغرفة ولا أدري كيف تمّ هذا الانتقال السريع ، إنّما على ظنّي اخترقت الجدار كما اخترقه نظري . فأخذت أتجوّل في مخادع جاري لأوّل مرّة وأحفظ في ذهني ما أراه فيها ثمّ دخلت مكتبته وقرأت أسماء بعض كتب موضوعة على الرفوف وكلّما قصدت الانتقال من مكانٍ إلى آخر كنت أصير حيثما أرغب بلمح البصر وبمجرّد إرادتي .

ومنذ ذلك تشوّهت أفكاري وما عدت أذكر شيئاً ، فقط أعلم أنّي كنت أنتقل إلى أماكن بعيدة جداً إلى إيطاليا على ما أظنّ ولكن لست أدري ما رأيت وعملت فيها إذ لم يعد لي سلطة على ضبط أفكاري وهي تنقلني حيثما توجّهت قبل أن أتولّى زمامها ؛ فحمقاء المنزل كانت تقود وقتئذٍ معها المنزل إلى أن صحوت الساعة الخامسة صباحاً وأنا متوسّد المقعد بارد الجسم متشنّج الأعضاء وسيكارتي بيدي مطفأة . فقمت إلى سريري واعتراني نفاض مزعج نمت على أثره بضع ساعات وما استيقظت إلاّ ضحى النهار .

واستنبطت في ذلك اليوم حيلة للدخول مع البوّاب إلى منزل جاري فتفقّدت الصور والأثاث وأسماء الكتب فرأيت كلّ هذا طبق ما عاينت وقت الإغماء إلاّ أنّي لم أكلّم أحداً بالحادثة حذراً من أن ينسبوا لي الجنون أو الهذيان ." انتهى .

موت أم إغماء ؟

(ساعة قضيتها مع الأرواح)

وهذه القصّة ذكّرتني حادثة وقعت لي في زمان طفولتي أذكرها كشاهد على ذلك فأقول :

المقدّمة

إعلم أيّها القارئ الكريم أنّ قصّتي هذه ليست قصّة خيالية ، ولا رواية تمثيلية ، إنّما هي قصّة حقيقية ، وحادثة زمنية وقعت لي في زمن طفولتي ، وكان عمري حينذاك سبع سنين ، وكان أهلي يسكنون في مدينة كربلاء فسقطت من مكان مرتفع في دارنا ، وعند سقوطي على الأرض شعرت كأنّي كنت في قفص فخرجت منه ، والقفص هو جسمي وأنا أصبحت روحاً ، فرأيت الأرواح وتكلّمت معهم كما أتكلّم مع الأحياء ، ورأيت أشياء لم أكن أعهدها من قبل ، فعجبتُ مِمّا رأيت ، ثمّ عدتُ إلى قفصي بعدما قضيتُ ساعة في عالم الأرواح وفتحتُ عيني وإذا أنا في حجر أمّي ، فقصصتُ لَها ما وقع لي وما رأيتُ في ذلك العالم الغريب ، فعجبَتْ من ذلك وأخبرَتْ به والدي عند مجيئه إلى الدار ، ولم أكن أعلم حينذاك شيئاً عن الأرواح .

وقد نسيتُ تلك الحادثة بعد أيّام من وقوعها ، ثمّ تذكّرتُها بالتفصيل بعد سنّ الأربعين من عمري ، وأحمد الله الذي أراني الأرواح في زمن طفولتي وذكّرني بِها في زمن كهولتي لأكون من الموقنين .

رحلة في عالم الأرواح

كان بيتنا قرب صحن العبّاس في كربلاء ، وقد شقّه بعد ذلك الشارع الذي يسمّى اليوم بشارع علي أكبر ، وكان لنا حمّام مقابل دارنا هذه يسمّى بِحمّام (شنطوط) وفي دارنا يوجد نيم سرداب فيه رفّ يرتفع عن أرض السرداب بمقدار متر ، وتحت الرفّ درج تتّصل بأتون الحمّام .

وفي يوم من أيام الصيف رغبت أن أنام على ذلك الرفّ ، فنهتني أمّي عن ذلك وقالت "إن نمتَ على هذا الرفّ تسقط إلى أسفل الأتون وتموت ." فلم أنتهِ عن رغبتي ولم ألتفت لقولِها ، ثمّ استغفلت والدتي بعد أن ذهبتْ عنّي لقضاء أشغالِها وصعدتُ ونمتُ على ذلك الرفّ ، وكنت أتقلّب في نومي فسقطتُ من الرفّ على رأسي فوق الدرج التي تحت الرفّ ، وعند وقوعي شعرتُ كأنّي كنتُ في قفص فخرجتُ منه ، والقفص هو جسمي وقد أصبحتُ روحاً من الأرواح ، وصعدتُ من الدرج إلى السرداب أقفز كالعصفور ؛ إذْ كانت ساقاي فيهما تجاذب ولا أستطيع أن أرفع رجلاً وأضع أخرى لكي أصعد من الدرج ، وتركت جسمي ملقىً على الدرج .

ثمّ نظرتُ إلى نفسي فإذا أنا عريان* [* قال النبيّ (ع) :" تحشر الناس يوم القيامة عراةً حفاةً غُلفاً ." وقال الله تعالى في سورة الكهف{لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني : جئتمونا عُراةً كما جئتم إلى الدنيا عراة .] **فاستحييتُ مِمّا أنا فيه والتفتُّ يميناً**

وشمالاً لعلّي أجد ثوباً ألبسه وأستر به عورتي ، فرأيتُ ثوباً من ثيابي (دشداشة) ملقىً على الأرض قرب الجدار فمددت إليه يدي لكي ألبسه فلم أتمكّن من حمله مع أنّي كنت ألمسه وأشعر بوجوده ولكن لا أستطيع حمله من الأرض فعجبت من ذلك ، ولَمّا عجزت عن حَمل الثوب التفتّ إلى الوراء لأرى أحداً أسأله عن السبب فإذا بفتاة تحمل بيدها بضعة ثياب تصلح للأطفال فقالت : "ما بالك ؟" قلت : "أريد أن ألبس ثوبي هذا ولكن لا أستطيع" فقالت : "اتركه وخذ ثوباً من عندي والبسه" ، وناولتني ثوباً أبيض ناصع البياض ، فخلته كفناً واشمأززت منه فرددته عليها وقلت : "لا أريد هذا الثوب لأنه يشبه الكفن في بياضه ، فناولتني ثوباً آخر مخطّطاً بألوان فأخذته منها ولبسته وسترت به عورتي ولكنّه كان قصيراً لا يتجاوز ركبتيّ ، فقلت لَها : "هذا ثوب قصير" ، قالت : "البسه مؤقّتاً حتّى أعطيك ثوباً أطول منه ." [ومن هذا يظهر أنّ الأطفال لا تبقى عراة في عالم الأرواح لأنّ الأطفال لا ذنب لَهم . أمّا الرجال والنساء فيعامَلون بأعمالِهم فمن كان من الصالحين تعطيه الملائكة ثياباً يستر بِها عوراته .

ولقد رأيت عمّي علي يرتدي ملابس وكذلك الفتاة التي أعطتني ثوباً ترتدي ملابس هي الأخرى . أمّا الفاسقون فيقون عراة بين النفوس ، وذلك عذاب الخزي في عالم الأرواح ؛ قال الله تعالى في سورة فصّلت {لَّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ} .]

ثمّ قالت : "هل تريد ماءً لتشرب ، قلت : "لا أريد " ، قالت : "ألست عطشاناً ؟" قلت : "كلاّ " ، فجاءت بكأسٍ كالبلّور وفيه ماء فقالت : "أنظر إلى هذا الماء فإنّه لذيذ الطعم كالشربت [: العصير] **فإنْ شربتَ منه لا تظمأ بعده أبداً " ، وهكذا أخَذَتْ تحثّني على شربه فأخذتُ الكأس منها وشربتُه ، ولَمّا شعرتُ ببرودته وطعمه اللذيذ لم أترك في الكأس شيئاً منه وناولتها الكأس فارغاً ، ثمّ قالت : "هذا عمّك علي تعال سلّمْ عليه" ، وأشارت إلى شابٍّ كان واقفاً في السرداب ، فنظرتُ إليه فتبسّم في وجهي ودعاني إليه ، ولكنّي لم أذهب إليه ولم أرغبْ في مكالمته لأنّي لم أعرفْه ولم أكنْ قد رأيتُه من قبل ولم أعلم أنّ لي عمّاً اسمه علي مات قبل أن أولَد ، وكذلك الفتاة لم أعرفْها ولكنّها قالت لي : "أنا أختك ."**

وجاءت والدتي مسرعة لَمّا سمعت صوت الوقعة ونزلَتْ إلى أتون الحمّام ورفعت جسمي من على الدرج وصعدتْ به إلى السرداب ، فجلست على الأرض واحتضنَتْه وصارت تقبّله وتمسح الدم عن وجهه وتبكي وهي تخاطبه باسمي ، فجاءت عمّتي وجلست عندها ، ثمّ جاءت بنت عمّي وأخذتْ قطعة من الصوف وأشعلَت فيها النار فلَمّا اشتعل نصفها أخمدَتها فوضعَتها فوق الجرح الذي كان يسيل منه الدم [لم يكن اليود أو موادّ التعقيم الأخرى معروفة عند الناس حينذاك بل كانوا يضعون "عطّابة" على الجرح ، وهي صوفة يحرقون نصفَها ثمّ يخمدونَها ويضعونَها على الجرح .] **وجاءت عمّتي بعُصابة سوداء فشدّت بِها رأس جسمي وجلسْنَ عنده يخاطبنه ، ثمّ قامت عمّتي وجاءت بالماء وصارت ترشّه على وجهه ولكنّ جسمي كان كالميّت لا يتحرّك بأدنى حركة .**

كلّ هذا وأنا واقف أنظر إليهنّ متعجّباً من فعلهنّ بالجثّة التي بين أيديهنّ ، وقلت في نفسي "إنّ والدتي قد اختلّ فكرها وتاه لبّها فهي تخاطب هذا الطفل الميّت باسمي وتقبّله وتبكي عليه فهل لا تراني واقفاً أمامها وهل هذا الطفل ابنها أم أنا ؟

ثمّ دنوتُ منها وصرت أخاطبها وأشير لَها بيدي اليسرى وأقول : "أنا إبنكِ ، أنا محمّد علي ، ألا ترَيني واقفاً أمامكِ ؟ إني سالم لا أشكو وجعاً من رأسي ولا عضواً من أعضائي" . ولكنّها لم تسمعني ولم تلتفت إليّ ، فكرّرت لَها القول ورفعت صوتي لعلّها تسمعني وتراني ولكن دون جدوى .

فحزنت لِحالِها وكدتُ أبكي ، فتقدّمت منّي تلك الفتاة التي أعطتني الثوب في عالم الأرواح وقالت : "ما بالك حزين؟" ، قلت : "ألم تنظري إلى والدتي تبكي وتندب ؟" ، فقالت : "أتركها لِحالِها واذهب إلى التنزّه واللعب فإنّها ستترك البكاء بعد ساعة ."

فلمّا أردتُ الخروج من السرداب إذا بساقَيّ لا تساعداني على المشي ولا يمكنني أن أرفع رجلاً وأضع أخرى فكأنّهما قيّدتا بالقيود أو رُبطتا بالحبال [قال الله تعالى في سورة القيامة يصف الأرواح حين خروجِها من الأجسام {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} ، وأمّا سبب هذا الالتفاف فهو تجاذب يكون بين الساقين فيمنع النفوس من المشي على الأقدام فينطلقون كالطيور .] فقلت لتلك الفتاة : "لا أتمكّن من المشي والخروج من السرداب ولا أعلم ما الذي أصاب ساقَيَّ فكأنّهما رُبِطَتْ إحداهما بالأخرى" ، فقالت : "أترك المشي على الأقدام وانطلق كالطير" ، فلم أفهم ما تقول فقلت : "وهل يسير الإنسان بدون أقدام ؟ وكيف أنطلق وساقاي قد شُلّتا وبطلتا عن الحركة ؟" ، فأرادت أن تُفهمني مقصودها فأخذتْ تعبّر بكلمات أخرى بدل كلمة الانطلاق فلم أفهم مقصودها ، ولَمّا عجزتْ عن إفهامي قالت : "أنظرْ إليّ كيف أنطلق وانطلق مثلي بدون أن ترفع قدماً وتضعَ أخرى" ، وانطلقتْ في الهواء كالطير ولكن بدون جناح ، فتعلّمتُ منها وانطلقتُ وتركتُ أمّي تبكي وخرجتُ من السرداب قاصداً الزقاق لأتسلّى باللعب عَمّا أشاهده من حال أمّي والجثّة التي احتضنتْها .

فلمّا وصلتُ باب الدار رفعتُ يدي اليسرى وأدخلتُ أصابعي الأربع في حلقة الباب وبقي الإبهام خارجاً وسحبتُها كما كنتُ أفتحها كلّ مرّة ، ولكن في هذه المرّة لم تنفتح الباب ومرّة ثانية لم تنفتح وفي الثالثة سحبتُها بكلّ قواي فتقطّعت أصابعي من ذلك وزاد تعجّبي لَمّا رأيتُ أصابعي معلّقة في الهواء لم تسقط على الأرض ولم يخرج منها دم ، فكانت كالشمع في مرونته وقتَ الصيف ، فبقيتُ متحيّراً أسائلُ نفسي كيف أفتح الباب وقد تقطّعت أصابعي ، ولماذا لا أقوى على فتحها اليوم وقد فتحتُها من قبل مراراً عديدة ، وكيف تقطّعت أصابعي بسهولة وقد كانت قويّة ، ولِماذا لم يخرج منها الدم وقد كان خروجه لأقلّ خدش يصيبها .

فبينما أنا واقف أفكّر في أمري وإذا بالفتاة أقبلت نحوي فقالت : "ما بالك في حيرة ؟" ، قلتُ : "لقد تقطّعتْ أصابعي ولم أتمكّن من فتح الباب" قالت : "لا تحزنْ على ما أصابك فالأمر هيّن ولا يحتاج إلى تكدير الحال : أمّا اصابعك فضعها في أماكنها على راحة كفّك تعُدْ كما كانت ، وأمّا الباب فإنّك لا تستطيع فتحَها فإنْ شئتَ الخروج من الدار فاخرجْ من شقوق الباب" ، فقلت لَها : " أتسخرين منّي وأنا في هذه الحال !؟" ، قالت : "لستُ بساخرة وإنّما أقول الحقيقة" ، قلت في تعجّب : "هل يمكن ذلك وهل أستطيع عليه ؟" ، قالت : "بلى" ، فمددتُ يدي اليمنى وأخذتُ أصابعي المتقطّعة من الهواء واحداً بعد الآخر ووضعتُها في أماكنِها على راحة كفّي اليسرى فالتصقت بِها حالاً كما تلتصق قطع الشمع بعضها بالبعض في زمن الصيف وعادتْ يدي سالمة كما كانت ففرحتُ بسلامتها ، فقالت الفتاة : "والآن ضَعْ رأسك في أحد شقوق الباب

واخرج إلى الزقاق" ، فظننتُ أنّها تسخر منّي فقلتُ لَها بانزعاج : "هل أنا مجنون فتسخرين منّي ؟" ، قالت : "لستُ بساخرة ؛ ألم ينطبق قولي في أصابعك وعادتْ يدك سالمة كما قلت لك فكذلك ينطبق في خروجك من شقوق الباب وسترى أنّ ما أقوله هو حقيقة وليس بسخرية " ، فوضعتُ رأسي في أحد شقوق الباب وإذا بي أنساب من الشقّ كما تنساب ذرّات الرمل من بين الأصابع ، وكانت ذرّات جسمي الأثيري تنجذب بعضها إلى بعض وكلّها تتبع رأسي كبرادة الحديد التي تنجذب نحو المغناطيس ، وفي نصف دقيقة أو أقلّ خرجتُ من باب الدار إلى الزقاق .

فوقفتُ قرب الباب وصرت أنظر إلى الناس وهم يسيرون في ذلك الزقاق المؤدّي إلى سوق العبّاس ، فرأيت بعضهم عراة (أرواح) وبعضهم يرتدي ثياباً قصيرة وسيقانهم مكشوفة فإذا صار طريقهم في الشمس اختفوا عن بصري وإذا صاروا في الظلّ رأيتُهم بوضوح يسيرون في الطريق ، ورأيت بعضهم يسيرون وليس لَهم أقدام بل لَهم حوافر مثل حوافر الخيل ، ولَمّا سألتُ عنهم قالوا هؤلاء من الجنّ .

فبينما أنا واقف أنظر إلى المارّة وإذا بريح تهبّ على ذلك الطريق فرفعتني من مكاني وصارت تدفعني بسرعة وكلّما حاولتُ أن أقاوم الريح وأثبت في مكاني فلم أتمكّن . فكنتُ كورقة قرطاس في خفّتها تنقلها الرياح من مكانٍ إلى آخر ، ثمّ ألقتني على الأرض فاصطدمتُ بكرسي كان في المقهى القريب من دارنا ، وكانت الصدمة في ركبتي اليسرى ، فتألّمتُ ألماً شديداً وبقيت في مكاني بضع دقائق جالساً جنب الكرسي [قال الله تعالى في سورة الحج في ذمّ المشركين{وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } فالطيور والرياح خطر على الأرواح .] وكانت رجلي المصدومة ممدودة إلى جانب الكرسي وقد فصلتُها عن الثانية بصعوبة ، فجاء رجلٌ من الأحياء ليجلس على الكرسي الذي أنا بجانبه فوطأ قدمي برجله وحذائه ، فزادني بذلك ألماً فسحبتُ رجلي ونهرته قائلاً : "هل أنت أعمى ؟ لقد سحقت قدمي برجلك ؛ ألا تراني جالساً هنا ؟" ، فلم يجبني بكلمة واحدة ، ثمّ عاودت عليه اللوم فلم يسمع ولم يلتفت إليّ ؛ قلتُ في نفسي : "ما بال الناس لا يسمعون ولا يبصرون في هذا اليوم ، وبقيت في مكاني حتّى زال الألم وسكنت الرياح فقمتُ متعجّباً مِمّا شاهدتُه في ذلك اليوم وزاد عجبي لَمّا رأيتُ نفسي خفيفاً كالهواء ويمكنني أن أطير بلا جناح .

فأنهضتُ نفسي إلى فوق فارتفعتُ إلى علوّ مترَين أو ثلاثة ودخلتُ سوق العبّاس وأنا فرح مسرور بنفسي لِما أشاهدُهُ من استطاعتي على الطيران ثمّ قلت في نفسي : "هل أستطيع أن أرتفع أكثر من هذا ؟" فأنهضتُ نفسي وارتفعتُ وصرتُ أطير على علوّ أربعة أو خمسة أمتار ، فرأيتُ طيور حمام واقفات على أعواد سقف السوق ، فصارت رغبتي أن أمسك واحدةً منها ، فدنوتُ منها وهي لا تراني طبعاً فمدَدْتُ يدي اليسرى وأمسكتُ طيراً منها ، فكنتُ أشعر بالطير تحت يدي وفي قبضتي ولكنّي لم أتمكّن من إخضاعه وإيقافه عن المسير فوق الأعواد بل تقطّعت أصابعي أنملةً أنملةً بقوّته وحركته وفلتَ الطير من قبضتي وأخذ يمشي على الأعواد ويهدر على أنثاه ، وبقيت أناملي معلّقة بالهواء لم تسقط على الأرض [ومن هذا يظهر أنّ جاذبية الأرض ليس لَها تأثير على الأرواح .] فعجبتُ من ذلك وبقيت في حيرةٍ من أمري وحزنتُ مرّة أخرى على ذهاب أصابعي ، ثمّ تذكّرتُ ما جرى لي حين أردتُ فتحَ الباب إذْ تقطّعتْ أصابعي فأرشدَتني تلك الفتاة إلى إعادتِها في مكانِها ، ثمّ مدَدتُ يدي اليمنى وأخذتُ الأنامل من الهواء واحدةً بعدَ الأخرى و ردَدتُها إلى أماكنِها فالتصقَت بِها حالاً وعادتْ

سالمة كما كنتُ فسررتُ بِها وزال حزني ، ولكن بقيت أفكّر في الطيور وأيّها أمسك ولم أكترثْ بِما أصابني مِنها من أذى ، فبينما أنا أفكّر فيها طار واحد من تلك الطيور فرفعتُ يدي اليسرى لأمسكه فوقعتْ كفّي اليسرى على عضدي الأيمن فاخترقتها ، ولكنّها اخترقت مكان اللحم دون العظم ، ولَمّا رفعتُ كفّي عنها التحمَتْ وعادت كما كانت ، فعجبت من ذلك ، ثمّ ضربتُ عضدي مرّة ثانية للتأكّد فاخترَقتْها ، ومرّة ثالثة فكانت النتيجة واحدة ، فكان جسمي الأثيري كالزبدة في الصيف عندما تنزل السكّين فيها بسهولة ثمّ تلتحم إذا رُفعَتُ عنها .

وبينما أنا واقف في الهواء أفكّر في ذلك وإذا بطير يطير نحوي صدفة فاخترق بطني وخرج من ظهري . فقصمتني ضربته نصفَين ودَفعتْ بالنصف الأسفل إلى حوالَي ثلاثة أمتار بعيداً عنّي وغُشي عليّ من شدّة **الألم** [قال الله تعالى في سورة الحج في ذمّ المشركين{وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} ، فهذا هو خطف الطير .] فلمّا أفقتُ رأيتُ نفسي بلا عجز ولا رجلين ، فنظرتُ يميناً وشمالاً فرأيت رجليّ خلفي واقفات في الهواء وكان الهواء يحرّكها بحركة خفيفة ، وكان جسمي الأثيري شفّافاً يشبه زلال البيض قبل **نضجه** [قال الله تعالى في سورة الإنسان في وصف الولدان {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا} ، فاللؤلؤ يكون شفّافاً قبل خروجه من الصدَفة . وقال تعالى في وصف الحور في سورة الصافّات {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ} يعني كأنّها زلال البيض في نقاوته وشفّافيّته . وفي سورة الواقعة وصَفَهنّ باللؤلؤ فقال تعالى {وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} ، يعني كاللؤلؤ قبل خروجه من الصدَفة .] فعجبتُ مِمّا أرى ومِمّا أنا فيه ، وبقيتُ في حيرة كيف أُرجع رجلَيّ إلى جسمي ، وهل يعود جسمي كما كان وقد أصبح نصفين ، وكيف بقيتُ حياً لم أمت وأنا في هذه الحال ، فبينما أنا أفكّر في أمري وإذا برجل عريان يصعد نحوي وهو يطير في الهواء بلا جناح ، فاشمأزّتْ نفسي منه وخفتُ منه في بادئ الأمر إذ ظننتُه مجنوناً لأنّ عورته بادية للعيان ، ولَمّا اقترب منّي أخذ يكلّمني فيما أنا فيه ويرشدني إلى إصلاح شأني ، فحينئذٍ ذهب الخوف عنّي إذ علمتُ أنّه ليس بمجنون ، فقال : "ما صنعتَ بنفسك ؟" قلتُ له : "صنع بي ذلك الطائر" ، قال : "أترك الطيور واذهب إلى أهلك فأنتَ روح ولا يمكنك أن تقبض عليها" (وكان الكلام ما بيننا باللهجة العامّية) كما كنتُ أتكلّم وأنا في جسمي المادّي . فقلتُ له : "وما معنى روح ؟" ، قال : "أنت ميّت لا تتمكّن من أنْ تقبض على الطيور" ، فلم أفهم معنى قوله فظننتُ أنّه يقول إنّ الطير أماتك بضربته ، فقلتُ : "إنّي لم أمت من ضربة الطير ولكنّه قصمني نصفين كما ترى ، فهل يمكنك أن ترجع إليّ رجلَيّ ؟" قال : "إنّها لا تأتي إليكَ ولكن يمكنك أنْ تذهبَ أنتَ إلَيها" ، فقلتُ : "كيف أذهب إليها وليس لي أرجل أمشي بِها ؟" قال : "انطلق بدون أرجل" ، قلت : "وكيف يسير الإنسان بدون أرجل؟ " ، فلمّا رأى أنّي لم أفهم مقصده أخذ بيدي وقادني إلى حيث كانت رجلاي فأوقفني عليهما وساواهما مع جسمي الأثيري فالتصقتا به في الحال فكانت كالشمع إذا ألصقتَه بقطعة أخرى وعدتُ صحيحاً ، فعجبتُ من ذلك وقلتُ له : "هل لديك قطعة قماش تضمّدني بِها أو دواء ترشّه على جرحي لئلاّ ينفصل مؤخّري عن جسمي مرّة أخرى ؟" فقال : "لا حاجة إلى ذلك ." ثمّ سألته عن حاله فقلتُ له : "لماذا أنتَ عريان ، مالك من ثوب تلبسه أو لباس تستر به عورتك ؟ " قال : "إنّهم لم يعطوني" ، فقلت : "إشترِ من السوق" ، فقال : "لا يبيعون" [قال الله تعالى في سورة البقرة {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ} ، وقال تعالى في سورة إبراهيم{مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ}] فلم أفهم معنى كلامه ، ثمّ تركني وانصرف بعد أن أوصاني أن أترك الطيور وأرجع إلى أهلي ، وأنا أنظر إلى ظهره وجسمه العريان يلمع كالبلور أو

كمعدن طُلي بالفسفور فصار يعطي شعاعاً ، فعجبتُ من حاله وقلتُ في نفسي : "هل هذا الرجل فقير لا يملك ثوباً ؟ كلاّ فإنّ الفقراء يسترون عوراتهم ولو بخرقة من القماش ، أو لعلّه مجنون ؛ ولكنّ المجانين لا يرشدون الناس إلى إصلاح حالِهم بل يؤذونهم ، وقد أرشدني هذا الرجل وأسعفني ولم أرَ منه قطّ أذى .

ثمّ صرفتُ نظري إلى نفسي أتأمّل فيها : فإذا أنا لا أستنشق الهواء كما كنت في السابق ، بل رئتاي ساكنتان هادئتان لا شهيق ولا زفير [قال الله تعالى في سورة إبراهيم في وصف النفوس{لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء} يعني أفئدتهم فارغة من الدم ورئاتهم فارغة من الهواء ، لأنّهم نفوس أثيرية ، والشاهد على ذلك قول حسّان :

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنّي فأنتَ مُجَوّفٌ نخبٌ هواءُ]

فعجبتُ لِما أنا فيه ، واستنشقتُ مقداراً من الهواء للاختبار فلَمّا دخل الهواء جوفي أحسستُ بثقل في جوفي أزعجني فنفَثتُه من جوفي حالاً واسترحت منه .

ثمّ فطنتُ إلى عينَيّ وإذا هما لا يرتدّ إليهما طرفهما كما كنت سابقاً ولكنّي إذا أردتُ أن أغمضهما يمكنني ذلك ، وإذا أردتُ أنْ أدير ببصري يميناً وشمالاً فلا أتمكّن بلْ عيناي شاخصتان إلى الأمام [قال الله تعالى في سورة إبراهيم متوعّداً الكافرين والظالمين {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء} يعني يؤخّرهم ليوم مماتِهم الذي تشخص فيه أبصارهم ، أي تثبت .]

وبعد هذه الحوادث أزعجني الدخان المتصاعد من المطاعم وبائعي الكباب ، فنزلتُ وعدتُ أطير على ارتفاع مترين أو أكثر من ذلك حتّى دخلتُ جامع العباس فدرتُ حوله نصف دائرة ، أي كنتُ أطير في الجهة التي فيها الظلّ ، أمّا الجهة التي تقع عليها أشعة الشمس فلم أتمكّن أنْ أذهب إليها لأنّ شعاع الشمس يغلب على بصري فلا أرى طريقي بل أكون كالأعمى لا أرى شيئاً .

وهكذا ذهبتُ وأنا طائر والناس تحتي ما بين ماشٍ وقاعد وبين راكعٍ وساجد لا يراني أحدٌ منهم سوى الأرواح والجنّ ، وكنتُ حينها أتجنّب كلّ طائرٍ يتّجه نحوي فأزول عنه لئلاّ يمزّق أحشائي بصدمتِه مرّةً أخرى ، وكنت أرتاح إذا صار طريقي في مكانٍ مظلم أو في الظلّ ، وكنت أرى من بعيد ويكون بصري قوياً [قال الله تعالى في سورة ق{لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ، أي قويّ البصر .] أمّا إذا صار طريقي في الشمس فأكون هناك كالأعمى لا أرى شيئاً سوى غشاءٍ أبيض يكون على بصري [قال الله تعالى في سورة الإنسان في أهل الجنّة{لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} ، أبعدهم الله عن الشمس لأنّها ترهق النفوس .] وإذا صار طريقي في مكانٍ كثير الضياء فكنت هناك لا أرى إلاّ الشيء القريب منّي ، وكانت الشمس تزعجني كثيراً ، ولَمّا كان صحن العباس مكشوفاً والشمس تشرق عليه فقد أزعجتني أشعّتها وآذتني حرارتُها والطيور تخاطفتني عن يميني وعن شمالي وأنا أحاذر منها ، فتركتُ الصحن و رجعتُ إلى الدار من الطريق الذي جئتُ منه فرأيتُ والدتي جالسة في مكانِها وجسمي المادّي لم يزلْ في حجرها وهي تبكي وتقول : "مات ابني" فتخاطبها عمّتي وتقول لَها : "لا تبكي ؛ لقد أغمِيَ عليه وليس بِميّت" فتجاوبها والدتي وتقول لَها : "لقد مضى عليه ساعة من الزمن ولم يفق من إغمائه وقد رششنا على وجهه الماء فلم ينتبه ولذعناه بالعطّابة فلم ينتبه وإذاً هو ميّت ." فتجاوبها عمّتي وتقول لَها : "إلمَسي رجليه فإنّهما ساختنان فلو كان ميتاً لبرد جسمه" وهكذا كانت المحاورة بين عمّتي ووالدتي ، فلمّا سمعتُ بكاء

والدتي ومحاورتها مع عمّتي خفتُ من ذلك المشهد ومن تلك المحاورة وقلتُ للفتاة التي أعطتني ثوباً : "ما بال والدتي تبكي وتندب وتقول مات إبني؟ " فقالت : "ألست ميّتاً ؟ " فأجبتها بعصبيّة وحدّة : "كلاّ أنا حيٌّ لم أمُتْ ولن أرضى بالموت ولا أريد أن أموت " قالت : "إذاً ستعود إلى جسمك" قلتُ : "أين جسمي؟ " قالت : "ألا تراه في حجر أمّك وهي تبكي عليه ؟ "

فحينئذٍ عرفتُ أنّ ذلك هو جسمي وإنّما أنا روح كما قال لي ذاك الرجل العريان الذي أسعفني ؛ حينئذٍ خفتُ من الموت ومن انتهاء أجلي فقلتُ قي نفسي : "سأعود إلى جسمي وأرى هل يستوي جالساً أمْ يبقى على حالته : فإنْ جلس فقول عمّتي هو الصحيح وأنا حيّ ، وإنْ بقِيَ على حالته فهو ميّت وقول أمّي هو الصحيح " ، ثمّ سألتُ الفتاة : "كيف أعود إلى جسمي ومن أيّ مكانٍ أدخل ؟ " قالت : "أدخل من منخر أنفه " ، قلتُ : "وكيف يمكنني هذا وهو ثقبٌ صغير؟ " ، قالت : "كما أمكنك الخروج من شقوق الباب كذلك يمكنك الدخول من ثقب الأنف" ؛ فلمّا رأت أني عازم على العودة لِجسمي قالت : "إذا كنتَ عازماً على العودة فانزع الثوب وناولني إيّاه " ، قلتُ : "لماذا؟ " ، قالت : "لأنّك عازمٌ على العودة إلى جسمك" ، قلتُ : "إنّ الثوب يسترني فكيف أنزعه وأبقى عرياناً ؟ " ، قالت : "سيسترك جسمك إنْ عدتَ إليه ، فلم أوافق على انتزاع ثوبي ولكنها ألحّت عليّ وأصرّت على أخذه فنزعته وأعطيتها إيّاه ثمّ دخلتُ جسمي من منخر الأنف ولبسته كما ألبس الثوب ، فانتبهتُ من إغمائي وفتحتُ عينيّ وقد انتهت رحلة الموت هذه وعدتُ إلى الحياة المادّية ثانيةً ، فرأيتُ رأسي في حجر أمّي وقد عصبوه بعصابة سوداء فحينئذٍ شعرتُ بالألم في رأسي ، فقصصتُ قصّتي على والدتي وما شاهدتُه في رحلتي القصيرة التي استغرقَتْ ساعة واحدة من الزمن ، فتشاءمتْ من ذلك وقالت : " أسكتْ ولا تحدّثني بِهذا الحديث ولا تعُدْ إلى ذلك مرةً أخرى" ، فقلتُ : "ولِمَ يا أمّاه ؟ إنّها رحلة جميلة" ، فقالت : "إنْ عدتَ إلى مثل هذه الرحلة فإنّك تموت ."

ولَمّا ذكرتُ لَها عن عمّي علي الذي رأيتُه في سردابنا تعجّبَتْ وقالت بلهفة : "رأيتَ عمّك علي؟ " ، وسمحت لي أن أقصّ عليها ما رأيتُ في عالَم الأرواح ، فقلتُ لَها : "ومَنْ هو عمّي علي؟ " ، فقالت : "كان لك عمٌّ اسمه علي مات شاباً لم يتزوّج وكان موته قبل مجيئك إلى الدنيا" . ولَمّا جاء والدي من السوق قصّت عليه الحادثة فجاء والدي يسألني ويتأكّد من صحّة ذلك ويسألني عن عمّي وأين رأيته وما هي صفاته فحدّثته بما رأيتُ فصدّقني بما قلتُ لأنّي أعطَيتُ أوصاف عمّي ولم أكن قد رأيته من قبل ولم أكن أعلم به ولا بموته .

فبقيتُ مريضاً بضعة أيّام على أثر تلك الحادثة ثمّ شفيت وأحمد الله الذي شافاني وعلى بعض آياته أطلعني وأراني ، وقد ذكرتُ هذه الحادثة باختصار في كتابي (الإنسان بعد الموت) ولكن مع الأسف فقد أنكرها بعض الناس وصدّق بِها آخرون ، وسيصدّق من كذّب إذا رأى بنفسه ما رأيت ، وذلك حين موته وانتقاله إلى عالم النفوس ويندم حيث لا ينفع الندم .

وإليك بعض ما دار بيني وبين والدتي من استفسار بعد انتباهتي :

قلتُ : "أمّاه رأيتُ بنت عمّي الكبرى أشعلت النار في صوفة ثمّ أخمدتها ووضعتها على رأس الصبيّ الذي كان في حجرك ، ثمّ جاءت عمّتي بعُصابة سوداء وشدّت بِها رأسه ، فلماذا فعلتا ذلك ؟ "

قالت : "كان ذلك لِتضمّد الجرح الذي في رأسِك ، وأنتَ الذي كنتَ في حجري ."

قلتُ : "كلاّ لم أكنْ أنا في حِجرك بل كان صبيّ لا أعرفه وقد وضَعَت بنت عمّي الصوف على رأسِه وليس على رأسي إذ أنا سالم لا أشكو وجعاً في رأسي ولا جرحاً أصابني ."

قالت : "إذاً أين كنتَ حينئذٍ ؟"

قلتُ : "كنتُ واقفاً قربَكنّ في السرداب أرى ما تضعن وأسمع ما تتكلّمن ." وسكتُّ برهة ثمّ اعتراني سؤالٌ آخر .

قلتُ : "أمّاه أنا كنتُ أكلّمكِ فلا تسمعين ، لِماذا ؟ "

قالت : "متى كنتَ تكلّمني ؟ "

قلتُ : "حين كنتِ تبكين والصبيّ الميّت في حجرك ."

قالت : "لم أكن أسمع لكَ صوتاً " . وسكتُّ برهة ثمّ اعتراني سؤالٌ آخر .

قلتُ : "أمّاه لِماذا لم أتمكّن من فتح باب الدار وقد تقطّعت أصابعي ولم تُفتَح ؟"

قالت : "ها هي أصابعكَ سالمة لم تتقطّع ."

قلتُ : "لقد أرشدتني الفتاة التي أعادتها فوضعتُها في أماكنِها فالتَصَقت بكفّي وعادت كما كانت ."

قالت : "لعلّها رؤيا رأيتَها ."

قلتُ : "كلاّ لم تكن رؤيا ولكن حادثة واقعيّة ."

قالت : "لا يهمّك! أصابعك سالمة الآن ." وسكتُّ برهة ثمّ اعتراني سؤالٌ آخر .

قلتُ : "أمّاه أنا يمكنني أن أطير ، لماذا ؟ "

قالت : "كيف تطير ومتى كان ذلك ؟ "

قلتُ : "لقد طرت ورحتُ إلى صحن العبّاس وشاهدتُ أشياء كثيرة ."

قالت : "كنتَ روحاً ولذلك أمكنك أن تطير ."

قلتُ : "حقاً أمّاه لقد قال لي ذلك الرجل الذي أسعفني أنتَ روح ، فما معنى روح ؟ "

قالت : "لم تفهم اليوم معنى الروح ولكن لَمّا تكبر تفهم ذلك ."

قلتُ : "أمّاه لِماذا لم أتمكّن من أن أقبض على الطير وأسيطر عليه بل كان يخرج من بين أصابعي ويقطّعها بقوّته ؟ "

قالت : "لأنّك كنتَ روحاً ولذلك لم تتمكّن من إخضاعه ."

قلتُ : "أمّاه لقد رأيتُ رجلاً عرياناً لم يلبس شيئاً من الثياب على جسمه ، لِماذا ؟ "

قالت : "لعلّه مجنون ."

قلتُ : "كلاّ لم يكن مجنوناً لأنّه أرشدني وأسعفني ."

قالت : "لعلّه فقير لا يملك ثوباً ."

قلتُ : "لقد رأيتُ كثيراً من الفقراء وهم يرتدون بعض الملابس ولو كانت ممزّقة أو مرقّعة ، ولم أرَ فقيراً عرياناً مثل هذا ."

ثمّ قلتُ : "لقد رأيتُ رجلاً واقفاً في السرداب فقالت الفتاة التي أعطتني ثوباً :هذا عمّك علي تعال سلِّم عليه ، فمن هو عمّي ؟ "

قالت : "كان لكَ عمٌّ اسمه علي مات شاباً لم يتزوّج وكان موته قبل مجيئك إلى الدنيا ، فما هي أوصافه ؟ " ولَمّا أعطيتها أوصافه صدّقَتني .

وهكذا جرت بيننا محاورات فكانت تفهم بعض ما أقول وتجيبني عليه ، وبعضها لا تتصوّرها فتظنّها رؤيا فتسكت عنها أو تجيب بجواب غير مقنع .

سؤال ٣: كيف لا يموت الإنسان إذا خرجت النفس من جسمه ؟

جواب : قلنا فيما سبق أنّ الجسم فيه مادّة حيّة تقوم بحياته وتعمل على الحركات المستمرّة في جسمه وذلك كالجهاز التنفّسي والدورة الدمويّة والجهاز الهضمي وغير ذلك مِمّا هو واجب الجسم ، ولا يموت الإنسان بخروج النفس من الجسم فقط بل يموت بتأكسد السائل الحيوي أوّلاً ثمّ بخروج النفس .

الإغماء

إنّ الإغماء كالنوم الإنفصالي ولا فرق بينهما لأنّ النفس تنفصل من الجسم عند الإغماء أيضاً ، ويكون سبب الإغماء أنّ الإنسان يُضرَب ضربة قوية أو يقع من محل مرتفع أو يصيبه حرٌّ شديد أو غير ذلك مِمّا تتألم منه النفس تألّماً مؤثّراً فحينئذٍ تخرج من الجسم وتذهب إلى حيث شاءت ، ثمّ إذا زال الخوف عنها وسكنتْ روعتها رجعت إلى الجسم فينتبه الإنسان حينئذٍ من إغمائه .

إغماء في المستشفى

الرؤيا

إنّ الرؤيا التي يراها الإنسان في منامه تكون على قسمين :

الأولى – هي الرؤيا الفكرية وتسمّى (أضغاث) وهي ناتجة من الأفكار والأماني والخوف وغير ذلك ، فكلّ شيء يراه الإنسان في اليقظة ويبقى يفكّر به يراه ليلاً في المنام ،

وأمّا الثانية – فتسمّى (الرؤيا الروحانية) وهي ناتجة عن المخلوقات الروحانية ، فإنّ الروحانيين يأتون للإنسان وهو نائم فيرونه ما أرادوا ، لأنّ أسهل طريقة للاتصال بين المخلوقات الروحانية وبين الإنسان هي الرؤيا ، وذلك لأنّ الإنسان إذا نام وكان نومه اتصالياً فيكون قريباً من الروحانيين ، وإذا كان نومه انفصالياً فيكون روحانياً مثلهم ، فحينئذٍ يمكنه أن يرى المخلوقات الروحانية ويكلّمها ويسمع منها الجواب .

والمخلوقات الروحانية يمكنها أن تتصرّف في الرؤيا بالنفوس فتريها أشياء لا يمكنها أن تعملها في اليقظة وعادات لم تتعوّد عليها في الانتباه ، مثلاً أنّ رجلاً جباناً في اليقظة فيرى في نومه بيده سيفاً وهو يحارب ويقاتل بين الأعداء ولا يرهب أحداً ، أو يكون في اليقظة شجاعاً فيرى في نومه أنه جبان قد أخذوه أسيراً ولا يمكنه أن يتخلّص من أعدائه ، أو يرى في المنام أنه صار فقيراً وهو يسأل من الناس ولا أحد يعطيه شيئاً ولكنه في اليقظة أبيّ النفس غنيّ حتّى أنه لا يقبل هدية من أحد ، أو يرى في منامه أنه يشرب الخمر ويزني ويسرق ولكنه في اليقظة رجل صالح لا يجترئ على المحرّمات ، وما هذه الرؤيا التي هي بعكس ما تعوّد عليه الإنسان في اليقظة إلاّ من الروحانيين وتسلّطهم على نفس الإنسان بالرؤيا .

والرؤيا الروحانية تنقسم إلى قسمين :

الأولى : هي الرؤيا الكاذبة وهي ما كانت من النفوس الشرّيرة والجن والشياطين .

أمّا الثانية وهي الرؤيا الصادقة فهي ما كانت من النفوس الصالحة والملائكة .

وكثير من الناس يرى أحد أقربائه الأموات فيخبره بأشياء لا يعلمها فتكون كما أخبره بِها ، وإليك نادرة نذكرها بمقام شاهد نقلاً عن كتاب الأرواح للشيخ طنطاوي قال:

"نشرت إحدى المجلاّت العلمية : "ومن ذلك ما رواه الدكتور (دي سرمين) أنه رأى ذات ليلة أنّ ولده الذي كان يحبّه وقع في نار ملتهبة واحترق ، وكانت الرؤيا واضحة جداً حتّى انزعج الدكتور فنهض من نومه مذعوراً وذهب إلى حيث كان ولده مستغرقاً في سباتٍ هنيء ، وفي اليوم التالي بقي تأثير الرؤيا عالقاً به حتّى أنه أخذ يراقب ولده كمن يحاول أن يردّ عنه الشرّ ثمّ يفحص جسمه بكلّ دقة فوجده صحيح البنية لا يشكو علّة ، ولكنّ الولد أصيب في اليوم الذي بعده بالتهاب الرئة الحاد وتوفّي بعد بضعة أيام .

ومن هذا القبيل ما وقع لامرأة عجوز من أهالي مدينة فيلادلفيا بأمريكا منذ سبع سنوات فإنّها رأت إنّ ابنها سقط بين عجلات التراموای وقُتِل ، فنهضت المرأة من نومها مذعورة ولَمّا علمتْ أنّ ما رأته لم يكن حقيقياً بل هي رؤيا ، عادت فنامت ثانية ولكنّها رأت مرةً أخرى بأنّ التراموای قد قتل ابنها وكانت الرؤيا جلية جداً ولَمّا صار الصباح ركبت في القطار وذهبت إلى نيويورك حيث كان ابنها يسكن ، وما كادت تخرج من محطة نيويورك وتجتاز أحد الشوارع حتّى أبصرت جمهوراً من الناس مجتمعين حول رجلٍ ميّت قد دهسه التراموای وكان ذلك الرجل ابنها وهو المستر وليم كوبر من كبار أغنياء الأمريكيّين وقد شهد الكثيرون بصحة ما روَته أمه إذ أطلَعت الكثيرين على رؤياها قبل أن تسافر من فيلادلفيا إلى نيويورك ، ومن جملة الذين شهدوا بذلك العلاّمة "كاميل فلامريون" .

ويروى عن أدوين ريد العالم الطبيعي الشهير أنه رأى ذات ليلة في منامه أنه كان سائراً في أحد الشوارع فأبصر صليباً من الصلبان التي يضعها المسيحيّون على قبورهم وينقشون عليها تاريخ أمواتِهم ورأى على ذلك الصليب إسمه منقوشاً كما يلي : "إدوين ريد توفّي في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠" ، وقد قصّ هذا العالم رؤياه على جمهور من أصدقائه وهو يضحك ، وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ توفّي .

ومن هذا القبيل أنّ ضابطاً أمريكياً يدعى الكابتن "مكجون" قد عزم ذات يوم هو وولداه إلى مسرح "بركلين" بنيويورك فطلب من إدارة المسرح أن تحجز له ثلاثة كراسي ، وفي الليلة السابقة لذهابه إلى المسرح رأى في المنام أنّ ناراً عظيمة قد شبّت والتهَمَت المسرح فهلك فيها ثلاثمائة نفس ، وكانت الرؤيا جليّة جداً حتّى أنّ الرجل هبّ من نومه مذعوراً وفرائصه ترتعد ، وفي صباح اليوم التالي أخبر إدارة المسرح بأنه قد عدل عن الذهاب هو وولداه ، وفي تلك الليلة عينها شبّت نار هائلة التهمَت المسرح كله وهلك بالنار ثلاثمائة نفس بين رجال ونساء . هذا ما جاء في المجلّة ."

وأمّا الذي شاهدته أنا بعيني وسمعته بأذني :

أنّ امرأةً في كربلاء لَها طفل رضيع عمره سنة واحدة فرأت في المنام أنّ ابنها سقط من سطح الدار إلى أسفلِها ومات ، فانتبهَت مرعوبة ولَمّا أصبح الصباح وارتفع النهار نسِيَتْ ما رأته في المنام وأخذَت ولدها وصعدت به إلى السطح لتستدفئ بحرارة الشمس لأنّ الوقت كان شتاءً ولم يكن للسطح حاجز (دايِر) ، فأخذ

الطفل يلعب ويزحف حتّى صار على حافّة السطح فلَمّا التفتَت إليه أمّه وإذا هو في محلّ خطِر فقالت في نفسِها إنْ ركضتُ خلفه فرّ منّي وهوى إلى أسفل الدار ، فصارت تدعوه إليها ولكنّ الطفل لم يكترث بدعائها بل أخذ يلعب ويضحك ويزحف إلى الأمام حتّى سقط إلى أسفل الدار ومات من ساعته .

والحادث الثاني : في سنة ١٩٣٩ أنشئ جسر في الحلّة وكان من جملة العمّال الذين يشتغلون في تشييد ذلك الجسر رجل يسمّى (جواد الحمد) فأصبح ذات يوم مهموماً ولم يشتغل مع رفقائه فسألوه عن سبب تأخره عن العمل فقال : "إنّ رؤيا رأيتها أمس أزعجتني وأنا خائف من الاشتغال في هذا اليوم" ، فقالوا له : "وما الذي رأيت؟" ، قال : "رأيتُ كلباً التَقَم يدي اليمنى وكلّما حاولت أن أخلّص يدي من فمه لم أتمكّن حتّى قطعها فانتبَهتُ مرعوباً وإنّي خائف من هذه الرؤيا" . فقالوا له :"هذه أضغاث أحلام فلا تهتمّ لذلك واشتغل معنا" ، ولم يزالوا يلحّون عليه حتّى اشتغل معهم . وكانت هناك مطرقة كهربائية تضرب على العمد لتنزلها في الأرض ، فبينما كانت المطرقة مرتفعة وضع (جواد الحمد) يده على العمود الذي تحت المطرقة سهواً منه فنزلت المطرقة على يده فطحنت عظامها وخرّ مغشياً عليه فحملوه إلى المستشفى فأمر الطبيب بقطع يده فقطعوها .

وكثيراً ما رأينا مثل هذا وسمعنا ولكن نكتفي بما ذكرناه .

ما هو الموت

ليس الموت الذي نعرفه هو زوال الإنسان من الوجود ، ولكنّ الموت هو انفصال النفس عن الجسم أي انفصال الهيكل الأثيري عن الهيكل المادي . وبعبارة أخرى أقول إنّ الموت ولادة ثانية للإنسان أي هو ولادة النفس من الجسم ، فالنفس مولود والجسم والد ، فإذا ولدت النفس من الجسم فالجسم يفنى بعد ذلك ويكون تراباً ، أمّا النفس فهي باقية لا تفنى ولا تزول وهي الإنسان الحقيقي ، وقد جاء في الحديث عن النبي (ع) أنه قال : "ليس للإنسان زوال ، بل نقلٌ وانتقال من دارٍ إلى دار ." ، فالإنسان إذاً لا يموت وإنما الموت للأجسام المادّية فقط ، وقد قال أبو العلاء المعرّي في ذلك :

خُلِقَ النَّاسُ للبَقَاءِ فضَلّتْ أُمّـةٌ يَحْسَبُونَهُمْ للنّفادِ

إنّما يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أعْمَالٍ إلَى دارِ شِقْوَةٍ أو رَشَـادِ

وقال الله تعالى في سورة البقرة {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ} ، وقال عزّ من قائل في سورة آل عمران {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} فالإنسان إذاً لا يموت وإنّما الموت للأجسام فقط . وجاء في إنجيل متى في الإصحاح العاشر قال المسيح لتلاميذه : "ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكنّ النفس لا يقدرون أن يقتلوها ."

سؤال ٤: قال الله تعالى في سورة الملك {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} ، فما معنى قوله تعالى {خَلَقَ الْمَوْتَ} ، فهل الموت شيء مادّي فخلقه الله تعالى أم هو عارض ؟

جواب : الموت هنا يريد به الجماد ، كقوله تعالى في سورة البقرة {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ...الخ} ، ومعناه : كنتم جماداً فجعلكم أحياءً تسمعون وتبصرون ، وذلك لأنّ الإنسان كان جماداً في أوّل أمره ؛ فقد خلق الله تعالى أبانا آدم من الطين ، أمّا أولاده فمن مركّبات وعناصر أرضية كالصوديوم والبوتاسيوم والكلس والكبريت والكاربون والفسفور وغير ذلك ، فامتصّتها الأشجار والنباتات من الأرض فأصبح فاكهة في الأشجار أو حباً في السنبلة ، فلمّا أكلها الإنسان صارت في صلبه ماءً ، ثمّ انتقل ذلك الماء إلى رحم المرأة فصار في رحمها طفلاً ، فهذا معنى قوله تعالى {كُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ} أي كنتم جماداً فجعلكم أحياءً ، وقال تعالى أيضاً في سورة الأنعام {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ...الخ} ، و قال تعالى في سورة النحل {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} ، فقوله تعالى {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء} يعني الأصنام التي يعبدونها هي جمادٌ لا حياة فيها.

فقوله تعالى{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} بعني خلق الجماد والحياة ، ولذلك قدّم كلمة "موت" على "الحياة" لأنّه تعالى خلق الجماد قبل الحياة . أمّا خلقة الحياة فهو مفهوم لأنّ منشأ الحياة من حجيرات حية نامية وإنّ الله تعالى خلق تلك الحجيرات وخلق كلّ شيء .

ما هو سبب الموت

يكون سبب موت الإنسان على قسمين :

أوّلاً : عوارض الطبيعة ، وذلك كالغرق والحرق والقتل وسقوط جدار على الإنسان وغير ذلك ، فيموت الإنسان حينئذٍ أي تنفصل النفس عن الجسم فيصبح الجسم عاجزاً عن حفظ النفس وذلك لِما أصابه من خلل ، وفي هذه العوارض لا يحضر ملَك الموت لقبض النفوس .

أمّا القسم الثاني وهم الذين يمرضون ثمّ يموتون أو يموتون بلا مرض ، فهؤلاء يحضر عندهم ملَك الموت فيخرج نفوسهم من أجسامهم ، فمثل ملَك الموت كمثل القابلة التي تخرج الطفل من بطن أمه كذلك ملَك الموت يخرج النفوس من الأجسام ، فإذا جاء ملَك الموت إلى المستحضر أخذ يؤكسد السائل الحيوي الذي في جسم الإنسان فتنفصل النفس حينئذٍ عن الجسد ولا يبقى لَها اتصال ، وذلك لأنّ السائل الحيوي هو السبب في اتصال النفوس بالأجسام . قال الله تعالى في سورة الأنعام {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ

الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} ، فقوله تعالى{وَلَوْ تَرَى} معناه : ولو ترى يا محمّد حال الظالمين حين ينزل بِهم الموت وهناك الملائكة باسطو أيديهم إلى المستحضرين يؤكسدون السائل الحيوي الذي في أجسامهم يقولون لَهم : أخرجوا أنفسكم من أجسامكم {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ...الخ} ، وقال تعالى في سورة الأنعام{حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} أي لا يقصّرون في حقّه فإن كان محسناً عاملوه بالإحسان وإن كان مسيئاً عاملوه بالترك والنسيان ، فإذا تركوه وانصرفوا عنه حينئذٍ تأتي إليه الشياطين والجنّ والنفوس الشرّيرة فيؤذونه ويسجنونه ويسخرون منه فيريد أن يتخلّص منهم فلا يتمكّن ، فقوله تعالى {وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} يعني : لا يقصّرون في حقّه ، كقوله تعالى في سورة يوسف {وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ...الخ} والمعنى : ما قصّرتم في حقّ يوسف . وقال تعالى في سورة الواقعة {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ . وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} فقوله تعالى {إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ} يعني : إذا بلغت النفس إلى الحنجرة {وَأَنتُمْ } أيها الحاضرون {حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ } إلى المستحضر كيف يعالج سكرات الموت {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ } يعني : رسلنا أقرب إليه منكم وهم الملائكة الذين يقبضون نفسه {وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ } لكونهم أثيريين وأنتم مادّيون ، وقال تعالى في سورة القيامة {كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ } ، فقوله تعالى {إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ } يعني : إذا بلغت النفس إلى الترقوة ، وهي عظام الرقبة {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} يعني : حينئذٍ يقال هل من طبيبٍ راقٍ يداويه ويشافيه .

مَلَك الموت

إنّ ملائكة الموت هما رقيبٌ عتيد ، فهما اللذان يكتبان حسنات الإنسان ويحصيان عليه سيئاته ؛ قال الله تعالى في سورة الأنعام {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} ، فقوله تعالى {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} يعني الحفظة تتوفّاه وهم الذين أرسلهم من قوله {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً} ، وأمّا قوله {لاَ يُفَرِّطُونَ}يعني لا يقصّرون في حقه إن كان محسناً عاملوه بالإحسان وإن كان مسيئاً عاملوه بالترك والنسيان . وقال تعالى في سورة الأعراف {حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ...الخ} ، فقوله تعالى {جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا} يعني الذين أرسلهم للإنسان يحفظون عليه سيئاته ويكتبون حسناته وهم رقيبٌ عتيد . وقال تعالى في سورة السجدة {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}، فقوله تعالى {وُكِّلَ بِكُمْ } يعني وكيل عليكم يكتب أعمالكم ويحفظ عليكم سيئاتكم . وقال تعالى في سورة الأنبياء {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ، فالملائكة التي تتلقّاهم يوم القيامة هم الحفظة وهم رقيبٌعتيد . وقال تعالى في سورة السجدة {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ

الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} ، فقوله تعالى {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } يعني الملائكة تقول لهم نحن كنا نتولّى أموركم في الحياة الدنيا ونراقبكم ، وفي الآخرة أيضاً كنا معكم ، أي في العالم الأثيري ، فكنا نتولّى أموركم ونرشدكم إلى ما فيه صلاحكم ونحرسكم من الجن والشياطين ، واليوم أتينا نتلقّاكم "وهو يوم القيامة" ونبشّركم بدخول الجنة ونأخذكم إليها .

فرقيبٌ عتيد هم مع الإنسان في دار الدنيا يكتبون أعماله ، وهما اللذان يقبضان نفسه عند الموت ، وهما اللذان يؤنسانه بعد الموت ويتولّيان أموره "إن كان الشخص من الصالحين" وهما اللذان يتلقّيانه يوم القيامة ويبشّرانه بدخول الجنة ثمّ يأخذانه إليها إن كان من الصالحين . قال الله تعالى في سورة ق {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} ، "فالسائق" هو الذي يسوقها إلى الجنة أو إلى النار ، و"الشهيد" هو الذي يشهد عليها بما عملت في دار الدنيا من خير أو شرّ ، فالسائق والشهيد هما رقيبٌ عتيد . وقال تعالى أيضاً في نفس السورة {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}، فالخطاب في قوله {أَلْقِيَا} يعود إلى رقيب عتيد .

ساعة الموت

إذا دنت للإنسان ساعة وفاته حضر عنده أقاربه الأموات أي النفوس الأثيرية ، وجلسوا عنده يتحدّثون معه وهو يراهم ويكلّمهم ويكلّمونه ، فإذا مات وانفصلت نفسه عن جسمه جاؤوا معه مشيّعيين نعشه حتّى ينزلوه في قبره ، وهناك يتزاورون ويتحدّثون داخلين خارجين قائمين قاعدين حتّى يوم الدين . وإليك نادرة نذكرها بمقام شاهد فنقول :

مرضت امرأة في الحلّة وزاد بِها المرض يوماً بعد يوم حتّى دنت ساعة وفاتِها ، وكانت حماتها معها في الدار فسمعت المستحضرة تتكلّم وكأنّها تسلّم على شخص وتحترمه فسألَتها حماتها قائلةً : "مع من تتكلّمين ؟" فأجابَتها المستحضرة : "إنّ أبي وأمّي جاءا إليّ وها هما جالسان حولي فاستتري بإزارك لكي لا يراكِ أبي" ، ولكنّ حماتَها لم تعتنِ بكلامِها ولم تلبسْ إزارها بل قالت في نفسها : "إنّ أباها وأمّها ميتان فكيف يأتيان إليها ؟" ، وما زالت تلك المستحضرة تتكلّم فكأنّها تكلّم أمّها وأباها ثمّ تلتفت إلى حماتِها وتقول لَها : "إلبسي إزاركِ فإنّ أبي جالسٌ إلى جنبي" ، ولكنّ حماتَها لم تعتنِ بكلامِها ، ثمّ قالت لحماتِها : "إلبسي إزاركِ وافتحي باب الدار فقد جاء أخي حسين" ، ولكنّ حماتَها لم تلتفتْ إلى قولِها بل قالت في نفسها : "إنّ هذه المريضة تهذي من شدّة المرض" ، ولم يمضِ من الوقت إلاّ دقيقة وإذا بالباب يُطرَق ، فأقبلت حماتها نحو الباب ونادت : "مَن بالباب ، حسين ؟" ، أجاب : "نعم إنّي حسين" ، ففتحت له الباب ودخل ، فقال لَها : "مَن أعلمكِ أنّي خلف الباب ؟" فقالت له : "إنّ أختكَ أعلَمَتني بذلك" ، ولَمّا رأته أخته رحّبت به وقالت له : "إنّ

أبي وأمّي كانا عندي الساعة وهما تحدّثا معي ، ثمّ قال لي أبي : "لقد جاء أخوكِ حسين وإنّنا ذاهبان" ، ثمّ تكلّمت معه بضع كلماتٍ أخرى وسكتت فحرّكها أخوها فإذا هي ميّتة .

وكثيرٌ مِمّن حضرتهم الوفاة نسمعهم يتكلّمون ذاكرين أسماء أقاربهم وأهاليهم الأموات فكأنّهم يتحدّثون معهم ويخبروننا عنهم قائلين : إنّ هذا زيدٌ وذاك عمرو وهذا أبي وذاك أخي وتلك أمّي إلى غير ذلك ، ونسمع كثيراً مِمّن حضرتهم الوفاة يتكلّمون بكلامٍ غير مناسب ، مثلاً أنّهم يردّون الجواب بدون أن يسألَهم أحدٌ منّا ، أو أنهم يذكرون اسم شخصٍ من الأموات ويكلّمونه فكأنّه حاضرٌ عندهم ، فلمّا نسمع ذلك من أحدهم نقول إنّه يهجو أو يهذي ، ولكن في الحقيقة أنه لم يهذِ بل يرى بعض نفوس أقاربه الأموات فيتكلّم معهم ويكلّمونه ، ولَمّا لم نسمع السؤال من النفوس بل نسمع ردّ الجواب من الشخص المستحضر قلنا أن يهذي .

سؤال ٥ : كيف علمت تلك النفس بأنّ ولده حسيناً قد أقبل يعود أخته المستحضرة ، فهل النفوس تعلم الغيب ؟"

جواب : قلنا فيما سبق أنّ النفوس تكون قوية البصر وأنّ بصرها ينفذ في الأجسام المادّية ، وقد سمعتَ قصة النقاش فيما مضى ، فهذه النفس رأت ولدها من خلف الجدار فأخبرتْ به ابنتها ، أي أخبرتْ بذلك المرأة المستحضرة لأنّ النفوس لا يحجب بصرها جدار .

سؤال ٦ : أنت تقول أننا لا نرى النفوس إلاّ إذا متنا وأصبحنا نفوساً مثلها ، فكيف رأت هذه المستحضرة أمّها وأباها ؟

جواب : إنّ من حضرته الوفاة يرى النفوس ويكلّمها ، لأنّ السائل الحيوي الذي في جسمه أخذ في التأكسد فالنفس تكون حينذاك على وشك الخروج .

الأجسام بعد الموت

ذكرنا فيما سبق أنّ الموت هو انفصال النفس عن الجسم ، وهنا نذكر عن مصير كلٍّ منهما بعد الموت ، فنبتدئ أولاً عن البحث في الأجسام فنقول :

إنّ الجسم عند انفصال النفس عنه وتأكسد السائل الحيوي كما تقدّم بيانه يبقى مادّة عضوية لا حياة فيها فيكون حينئذٍ عرضة للتفسّخ والتعفّن والتلف ، فيبقى بلا سمع ولا بصر ولا فؤاد ،فهو كالخشبة الممدّدة لا يشعر بألم ولا بلذّة ولا يفهم ولا يعي ، فإذا دُفِن في القبر أخذ يتفسّخ حتّى يكون تراباً بعد مدّة من الزمن ، والجسم لا يكون عليه حساب ولا عقاب ولا نعيم ، وإنّما الحساب والعقاب والنعيم يكون للنفس خاصةً لأنّ

النفس هي الإنسان الحقيقي ، وما الجسم إلاّ غلاف للنفس ، ومن قال إنّ النفس ترجع إلى الجسم في القبر ويُحاسَب الميّت ثمّ تخرج منه النفس ثانيةً ، فهذه أقوال لا صحة لَها ، وقد قال الله تعالى في سورة الصافّات عن لسان أهل الجنة {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} ، فأخبر سبحانه بأنّ الموتة واحدة لا موتتان . وقال تعالى في سورة الدخان {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}.

سؤال٧ : إذا كان كما تقول ، إذاً فما معنى قوله تعالى في سورة المؤمن {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} ؟

جواب: يكون هذا القول منهم يوم القيامة لا في القبر وذلك حين دخولهم في النار يقولون {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} ، فالموتة واحدة وإنما قال {اثْنَتَيْنِ}، لأنّهم كانوا أمواتاً فأحياهم ، أي كانوا جماداً فأحياهم ، وذلك كقوله تعالى في سورة البقرة {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ...الخ} والمعنى : كنتم جماداً فجعلكم أحياءً ، وأمّا الحياة فهي حياتان : الأولى هي الحياة المادّية في الدنيا ، والثانية هي الحياة الأثيرية في الآخرة . وليس للأجسام حياة بعد موتِها .

النفوس بعد الموت

قلنا فيما سبق أنّ الموت كالولادة ، فكما يخرج الجنين من بطن أمه ويرى أنه انتزع جسماً كان يغلّفه ، كذلك النفس عند الموت ترى أنّها انتزعت جسماً كان يغلّفها وخرجت منه ، ولَمّا كانت النفس تعوّدت هذا الجسم وكان يقيها من المؤثّرات الخارجية وكان ملجئاً لَها أخذت تتبعه في بادئ الأمر إلى حيث نقلوه ، ولكنّها في ذلك الوقت تكون متفكّرة ومتعجّبة إذْ ترى أنّها صارت في عالمٍ آخر ، فبعد أن كان الإنسان ذا جسمٍ مادي ثقيل ، أصبح أثيرياً خفيفاً ، وكان لا يسمع إلاّ القريب فصار يسمع البعيد والقريب ، وكان لا يرى المخلوقات الروحانية فصار يرى الروحانية والمادية ، وكان ضعيف النظر فصار قويّ البصر ، وكان يمشي على الأرض فصار يمكنه أن يطير في الفضاء بلا جناح .

فإذا رأى ذلك من نفسه أخذته الدهشة ، ثمّ يزيد عجبه إذا رأى أهله وأقاربه يبكون عليه ويقولون مات فلان ، فيأتي إليهم ويقول لَهم : "إنّي لم أمت فما بالكم تبكون عليّ وتقولون مات فلان ألا ترونني واقفاً أمامكم ؟" ولكن لا يسمعه أحدٌ منهم ولا يراه أحد لأنه أصبح مخلوقاً أثيرياً والأثيريات لا تراها الماديات ، ولا يزال يكرّر عليهم الكلام حتّى يعلم أنّهم لا يرونه ولا يسمعونه فحينئذٍ يتركهم إلى ما شاؤوا أن يفعلوا ولِما أرادوا أن يتكلّموا ، فحينئذٍ تأتي إليه أقاربه الأموات ويأخذونه معهم إلى أماكنهم فيتحدّثون ويتزاورون ويأكلون ويشربون ،

ويتنزّهون في الحدائق هذا في الليل ، فإذا أصبح الصباح وطلعت الشمس رجعوا إلى أماكنهم ولا يخرجون إلاّ وقت غروب الشمس ، وقد يخرج بعضهم في النهار ويتجوّلون في بعض الأماكن ولكن لا يرتاحون في جولتهم ولا يأنسون بل تؤذيهم الشمس وتخطفهم الطير وتزعجهم أصوات الناس والضوضاء وتهوي بهم الريح في مكانٍ سحيق فيرجعون إلى أماكنهم ، وإنّما يكون خروجهم بالليل ورجوعهم بالنهار لأنّ الشمس تؤذيهم فلا يستطيعون النظر إليها ولا الجلوس في أشعتها ولا يطيب لهم العيش إلاّ في الظلام ، وذلك لحدّة بصرهم وقوته ، يكتفون بالضياء القليل كضياء المصباح أو ضياء القمر أو بلا ضياء ، فهم من هذه الوجهة كالخفّاش يطير بالليل ويختفي بالنهار ، ولذلك يسكنون السراديب أو المحلاّت المنعزلة عن الناس التي لا تنزل عليها أشعة الشمس أو الكهوف أو الخرائب أو البيوت المتروكة التي لا تسكنها الناس . قال الله تعالى في سورة الدهر في وصف أهل الجنة {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} ، أبعدهم الله تعالى عن الشمس لأنّها تؤذيهم .

[الملابس]

واعلم أنّك حين موتك وانفصالك عن جسمك ترى نفسك عرياناً فتستحي مِمّا أنت فيه فتلتفت يميناً وشمالاً تبحث عن ثوبٍ تلبسه وتستر به عورتك فلا تجد غير الثياب المادية التي كنت تلبسها في الدنيا ، فإذا جئت لتأخذها وتلبسها فلا تقدر على حملها من مكانِها لأنّك أصبحتَ مخلوقاً روحانياً أثيرياً فتتركها وتفتّش عن غيرها حتّى تيأس مِنها و تبقى عرياناً .

أمّا إذا كنت من الصالحين ومن الموحّدين فإنّ الملَكين رقيب عتيد اللذَين كانا بصحبتِك في دار الدنيا يأتيانك بثوب جديد أثيري فتلبسه و تستر به عورتك ، وإلى ذلك أشار الله تعالى في كتابه المجيد بقوله {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} .

أو أنّك أعطيت في حياتك الدنيا رداءً للفقير في سبيل الله ، فإنّ الملائكة تأتيك به فتلبسه وتستر به عورتك ، قال تعالى في سورة آل عمران {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ، و قال تعالى في سورة الأنفال {وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}

[العطش]

ثانياً إنّك بعد موتك تشعر بالعطش فتذهب تفتّش عن الماء لتشرب وتروي عطشك ، فإذا أتيت آنية الماء لتحملها وتشرب فلا تستطيع حملها لأنّك أصبحت مخلوقاً أثيرياً فتتركها وتذهب تفتّش عن غيرها فتأتي إلى النهر فتبسط يديك إلى الماء لترفعه وتشرب منه فلا يمكنك فتتركه وتذهب تفتّش عن غيره لعلّك تجد ماءً تشربه ، وإلى ذلك أشار الله تعالى في كتابه المجيد في سورة الرعد {كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ

بِبَالِغِهِ ...الخ} . أمّا إذا كنتَ من الصالحين فإنّ الملكين يأتيانك بكأسٍ من ماء الجنة فتشربه فترتوي ولا تظمأ بعده أبداً ، وبذلك تعرف نفسك هل أنت من السعداء أم من الأشقياء .

[الجوع]

ثمّ إنك تشعر بالجوع فتفتّش عن طعامٍ تأكله فلا تجد فتبقى جائعاً ، فإنْ كنت من الصالحين فإنّ الملَكين يأتيانك بفواكه أثيرية فتأكل وتشبع .

وإنْ كنت قد أعطيت لرجل فقير طعاماً : خبزاً أو فاكهةً في سبيل الله ، فإنّ الملَكين يأتيانك به فتأكل ، قال تعالى في سورة البقرة {وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، والمعنى إذا أنفقت شيئاً مادياً للفقير في سبيل الله ، كعنقود عنب مثلاً ، فإنّك تجد نسخته الأثيرية في الآخرة ، لأنّ كلّ شيء مادي له روح أثيرية ، فتأكله ويعود عنقوداً [على شجرته في الجنة] كما كان .

[تواجد الأرواح]

واعلم أنّ الأرواح معنا في بيوتنا ومحلاّتنا وسراديبنا ، فهي مزدحمة في كلّ مكان ترى أعمالنا وتسمع أقوالنا ، وقد جاء ذلك على ألسن الناس أيضاً وحتّى في أغانيهم ، وهو قوله :

"الأرض كلها ارواح خفّف مشيتَكْ حتّى على الميتين عمّت أذيتَكْ "

ولكنّنا لا نراهم ولا نسمع كلامهم وحتّى أنّنا لا نسمع وقع خطواتهم على الأرض ، قال الله تعالى في سورة مريم {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}.

[تأثير الرياح والأمطار على الأرواح]

فإذا خرجتَ ليلاً وكانت رياح شديدة أو أمطار فلا تذهب إلى مكانٍ ما ، بل انتظر في إيوانك حتّى تسكن الرياح والأمطار لأنّ الريح ترفعك وتلقي بك في مكان سحيق فتتألّم ، أمّا الأمطار فتسقط على رأسك فتثقب جسمك الأثيري وتنزل إلى الأرض فتعمل بك كما يعمل الرصاص (صچم) في الأحياء .

[الفرار من عالم المادة إلى جوار ربّك]

والأحسن من هذا وذاك أن تنهزم من الأرض وتصعد إلى السماء وتنجو من المادة وتكون في جوار ربّك ، فقد قال تعالى في سورة الذاريات {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} يعني تخلّصوا من المادة بأعمالكم الصالحة وتقواكم وبرّكم وبذلك تكونون في الجنان الأثيرية عند ربكم ، وقال تعالى في سورة الأعراف في قصة بلعام بن باعور{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} ، والمعنى : لو ترك بلعام المادة والطمع لرفعناه إلى الجنان الأثيرية ولكنه طمع في المال وأخلد إلى الأرض ، يعني أحبّ الخلود في الأرض دون السماء .

واعلم أنّ الإنسان ضعيف عاجز تعجزه البقة وتقتله الشرقة ، وكذلك في حياته الأثيرية الشمس تزعجه والطير تخطفه والرياح تنقله والحشرات تؤذيه والنفوس الشرّيرة تبتليه ؛ فمن أراد الراحة والسعادة والحياة الأبدية فليترك الدنيا ويعمل للآخرة ويكون من المتقين فإذا مات أخذته الملائكة إلى الجنان يعني إلى السماوات الأثيرية فهناك الحياة الأبدية وهناك ظلٌّ ممدود وماءٌ مسكوب وفاكهةٌ كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرُشٌ مرفوعة ؛ فلا شمس هناك تزعجه ولا رياح تنقله ولا حشرات تؤذيه ولا طير مادّي يخطفه ؛ ولا يوصلك إلى ذلك النعيم إلا عمل البِرّ وترك الطمع والله يحبّ المحسنين .

والآخرة خيرٌ وأبقى

صفات النفوس بعد الموت

إنّ النفس هيكل أثيري خفيف يمكنها أن تصعد إلى أعلى طبقات الفضاء بلا جناح ، ويمكنها أن تنزل في الأرض وتخرج منها بلا صعوبة ، ويمكنها أن تدخل الغرفة والباب مغلق لأنّها تستطيع أن تدخل وتخرج من أصغر ثقب ، والنفس إذا انفصلَتْ من الجسم يكون بصرها أقوى مِمّا كانت عليه وهي داخل الجسم لأنه كان كغطاءٍ لَها ، فإذا كان الإنسان يرى من مسافة ساعة فإنه إذا انفصل عن جسمه المادّي يرى من مسافة اثنتي عشرة ساعة لأنّ الغلاف الذي كان على بصره قد زال . هذا في الظلام أمّا في الضياء فيكون بصره ضعيفاً فلا يرى إلاّ القريب منه ، وكذلك السمع عنده ، فإنّ النفس يقوى سمعها إذا انفصلت عن الجسم فتسمع حينئذٍ من مسافة بعيدة ، وهكذا تقوى جميع حواسّ النفس بعد الموت إلاّ حاسّة النطق فإنّها تكون ضعيفة لأنّ الفم المادّي هو كآلة مكبّرة للصوت عند النفس ، فإذا انفصلت النفس عن الجسم فحينئذٍ لا يمكنها أن تنطق بصوتٍ يسمعه المادّيون بل يكون كلامها بلا صوت ، والنفس لا يبعد عليها طريق ولا مكان فهي تسير بسرعة الهواء ، والنفوس تجوع وتعطش ولكن لا يكون أكلها وشربها ضرورياً بل إنْ حصلتْ على طعام أكلت وإنْ لم تجد لا تأكل ، وكذلك إن وجدت ماء شربت وإذا لم تشرب لا تموت ، والنفوس إذا انفصلت عن الأجسام بسبب الموت حينئذٍ ترى الملائكة والجنّ والشياطين لأنّها أصبحت مخلوقات أثيرية مثلها . قال الله تعالى في سورة الفرقان{يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا}.

والنفوس لا تنام ولكن تأخذها سِنَة من النوم ، وهي الحالة التي تعتري الإنسان قبل النوم فيغمض عينيه وينعس ولكن ليس بنائم ، فإذا تكلّم معه أحد سمع كلامه وفهم مراده ، وهذه الحالة التي تكون عند ابتداء النوم تسمّى "سِنَة من النوم ، وفي ذلك قال عدي بن الرقّاع :

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاس فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنه سِنَة وَلَيْسَ بِنَائِمِ

وقال الله تعالى في [سورة البقرة] آية الكرسي {اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ } ومعناه لا تأخذه سِنةٌ كما تأخذ النفوس ولا نومٌ كما تنام الأجسام . وقال تعالى في سورة النازعات {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ}أي فإذا الناس يموتون من تلك الزجرة وتنتقل نفوسهم إلى عالم يسهرون فيه ولا ينامون ، فالسهر هو الامتناع عن النوم ، وفي ذلك قالت الخنساء :

فسوفَ أبكيكَ يا ابنَ الشريدِ وأسهِرُ عيني معَ الساهِرِينا

وقال الله تعالى في سورة الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ...الخ} فقوله تعالى {لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء} دليل على أنهم يمكنهم الصعود إلى السماء ولكن لا تفتّح لهم أبوابها ، ولو فتحوا لهم الأبواب لأمكنهم الصعود إلى الجنة . وقال تعالى في سورة الحجر{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ} فهذه الآية أيضاً تدلّ على أنّ الإنسان يمكنه الصعود في السماء وذلك بعد انفصاله عن الجسم المادّي . وقال تعالى في سورة الأنعام {فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ...الخ} فهذه الآية تدلّ على أنّ الإنسان أي النفس يمكنها أن تنزل في الأرض ويمكنها الصعود في السماء . وقال تعالى في سورة ق {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ، فالغطاء يريد به الجسم المادّي فهو الغطاء للنفس ، والبصر هو عين النفس ، والحديد معناه حادّ أي قويّ البصر ، وذلك كقوله تعالى في سورة الأحزاب {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} يعني بألسنةٍ حادة ، وفي ذلك قال زهير بن أبي سلمى :

وَرْدٌ عُرَاضُ السَّاعِدينِ حَدِيدُ النَّابِ بَينَ ضَرَاغِمٍ غُثْرِ

وقالت الخنساء :

حَديدُ السّنانِ ذَليقُ اللّسانِ يُجازي المَقارِضَ أمثالَها

وقال الله تعالى في سورة النمل{وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ} أي لا يتكلّمون بكلامٍ له صوت بل يكون كلامهم لا صوت له . وقال أيضاً في سورة المرسلات{هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} ، ومعناه لا يكون لكلامهم صوت لأنهم أثيريون ولا يؤذن لهم في الكلام فيعتذرون ، فالنطق غير الكلام ، والنطق هو الكلام الذي يكون له صوت ، وأمّا الذي لا يكون له صوت فلا يسمّى نطق بل يسمّى كلام ، وأمّا لفظة "كلام" فهي تشمل الإثنين : ما كان له صوت وما لم يكن له صوت .

وقال تعالى في سورة طه {وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} ، أي لا تسمع لكلامهم صوتاً بل يكون كلامهم بالهمس ، والهمس هو الكلام الخفي الذي لا يظهر له صوت . وقال تعالى في سورة مريم {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}، فقوله تعالى {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ} دليل على أنهم موجودون غير معدومين ولكنّ النبيّ (ع) لا يحسّ بهم لأنهم أثيريون ولا يسمع النبيّ رِكز أقدامهم على الأرض ، يقال "ركز الرمح في الأرض" أي غرزه في الأرض .

[إيحاء النفوس إلينا]

والنفوس يمكنها أن تكلّمنا وتفهمنا ما أرادت وذلك بالوحي ، ولكن على شروط :

أولاً : أن يكون ذلك وقتَ الليل أو في محلّ مظلم لأنّ النفوس تنفر من ضياء الشمس ،

ثانياً : أن يكون المكان خالياً من الأصوات والضوضاء ليفهم الإنسان كلام النفوس ،

ثالثاً : أن يكون الهواء ساكناً ليصل كلامهم إلى أذهاننا ، فالوقت المناسب لذلك نصف الليل والأصوات هادئة .

رابعاً : أن يكون الشخص المخاطَب حاذقاً فطِناً ليفهم كلامهم وإلاّ فلا يفهم .

خامساً : أن تتكلّم معهم بصوتٍ منخفض ولا تعطس ولا تسعل لأنّ النفوس تزعجها الأصوات العالية ، ثمّ إن الهواء يأخذ في الحركة والتموّج من أصواتنا فينقطع عنّا كلام النفوس .

وإليك نادرة أذكرها بمقام شاهد فأقول :

سافرت من الحلّة إلى الديوانية في بعض الأيام وأقمتُ فيها أربعة أيام أشتغل في مهنة التصوير، فعزمت في اليوم الخامس على الرجوع إلى الحلّة ، فلمّا اضطجعت على الفراش وأردتُ النوم سألتُ الله أن يرسل إليّ أحداً يوقظني من نومي في الساعة التاسعة والنصف من الليل أي قبل طلوع الفجر بساعتين [هذا حسب التوقيت العربي القديم الذي كان شائع الاستعمال حينذاك والذي تكون بدايته عند غروب الشمس] لكي أذهب إلى محطّة القطار فأركب فيه إلى الحلّة ، وكان القطار يمشي من الديوانية في الساعة العاشرة من الليل ، فيكون الوقت بيني وبين مسير القطار نصف ساعة ، وأكتفي بهذا الوقت لأنّ محطّة الديوانية قريبة منها ، ثمّ أخذني النعاس فنمتُ وذلك في الفندق المعروف بِفندق البحراني ، ثمّ انتبهتُ من نومي بعد ساعات ولم يكنْ في الغرفة أحدٌ غيري ، فقلتُ في نفسي : "لا أعلم كم تكون الساعة الآن" ، أي لا أعلم هل ذهب الوقت منّي فجاء الصباح أم لم يأتِ الوقت الذي أريده فأعود إلى نومي . قلتُ هذه الكلمات في نفسي ولكنّ شفتَيّ أخذتا

تتحرّكان قليلاً بحيث لو كان شخصٌ واضعاً أذنه في فمي لم يسمع ذلك منّي . فأوحِيَ إلى ذهني أنّ الساعة التاسعة والنصف إلاّ خمس دقائق . هذا فكأنّما كان شخصٌ حاضراً إلى جنبي فأخبرني بالوقت ، وقد رسخت كلماته في ذهني وفهمتها وفهمتُ اتجاه الكلام أيضاً ، ولا أنسى أنّ الكلام أوحيَ إليّ من الجهة اليمنى أي من جهة فضاء الغرفة لا من جدارها ، فصرتُ أكرّر تلك الكلمات على لساني قائلاً "بالتسعة ونصف إلاّ خمس دقائق" إلاّ أنّني لم أسمع لتلك الكلمات صوتاً بل أوحِيَتْ إلى ذهني وحياً ، فتعجّبتُ من ذلك وقلتُ في نفسي : "يا ترى من الذي علم ما نويتُه في نفسي ثمّ أجابني عليه ؟" ففهمتُ من ذلك المتكلّم بالوحي يقول "أنا أخوك صالح" فزاد تعجّبي من ذلك ورفعتُ رأسي عن الوسادة وصرت ألتفت يميناً وشمالاً فلم أرَ أحدً في الغرفة غيري ، غير أنّي لم أكترث بكلامه وقوله "أنا أخوكَ صالح" ، بل قلتُ في نفسي : "إنّ أخي ماتَ وعمره سبع سنين ودُفِنَ في كربلاء فكيف يكلّمني وهو ميّت وكيف يحضر عندي في الديوانية وهو مدفون في كربلاء "؟

ثمّ جلستُ من رقادي وتناولتُ ساعتي من جيب سترتي وكانت معلّقة على الجدار إلى جنبي فنظرت إليها فإذا هي بالتاسعة والنصف ينقص منها دقيقتان ، وقد ذهب من الوقت ثلاث دقائق ، أي من وقت ما أخبرني به أخي إلى وقت رؤيتي للساعة ، فكان الوقت كما أخبرني به لم يزد ولم ينقص دقيقة واحدة ، فزاد تعجّبي من ذلك .

وقد خطرت ببالي أسئلة أخرى فوددتُ أن يجيبني عنها ولكن لم أسمع منه جواباً وذلك على ما أعتقد بأنّ الهواء الذي في الغرفة أخذ يتحرّك ويتموّج بسبب ما بدا منّي من حركة وسعال وغير ذلك فانقطع عنّي كلامه فلم أعدْ أفهم منه شيئاً لهذا السبب .

أقول فلا شكّ بأنّ الله تعالى أرسل إليّ نفس أخي لتوقظني من نومي إجابة لسؤال ، ولَمّا أيقظتني وسمعت منّي استفهام الوقت أجابتني عليه وأفهمتني بالوقت ، ثمّ سمعت منّي استفهام الشخص المتكلّم فأخبرتني : أنا أخوك صالح ، ثمّ قمت ولبستُ ملابسي وذهبت إلى المحطّة فركبت القطار ورجعتُ إلى الحلّة .

وإليك حادثة أخرى نقلتها عن صالح قاسم الموصلي قال :

كنت جندياً في بغداد وكانت عليّ حراسة فلمّا انتهت حراستي ذهبت إلى القاووش فانطرحت على فراشي وكان الوقت نصف الليل ولم يكن في القاووش مصباح فبينما أنا مضطجع وإذا بشبح دنا منّي فالتفتّ إليه وإذا هي أمّي فانحنتْ عليّ وقالت "هو" فراعني منظرها في ذلك الظلام فنهضتُ من فراشي فلم أرَ أحداً . فأوقدتُ شمعة كانت عندي وفتّشتُ في القاووش فلم أرَ أحداً فرجعتُ إلى مضجعي وإذا بأمّي تدنو منّي وانحنَتْ عليّ ثانيةً وقالت "هو" ، فخفتُ وخرجتُ من القاووش ونمتُ في مكانٍ آخر . ولَمّا أصبح الصباح جاءتني برقية من الموصل بأنّ والدتك توفّيت أمس ، فعلمتُ بأنّ الذي جاءني ليلاً هو روحها .

سؤال ٨ : هل تأتي النفوس لزيارة أهلها ؟

جواب : تأتي كلّما اشتاقت لزيارتهم وتسلّم عليهم وتكلّمهم ولكنّهم لا يسمعون كلامها ، فإذا يئسَتْ منهم رجعت إلى محلّها .

سؤال ٩ : لماذا لا تسكن النفوس دورها التي كانت تسكنها في قيد الحياة وتجالس أهلها بل تجالس النفوس ؟

جواب : إنّ النفوس لا تألف الأحياء المادية إذْ لا يمكنها مجالستها والتكلّم معها ، ولذلك تألف النفوس التي هي من جنسها لأنها يمكنها رؤيتها ومجالستها والتكلّم معها كما قيل في المثل "الجنس إلى الجنس يميل" وقال الآخر "إنّ الطيور على أشكالِها تقعُ" ، ثانياً إنّها تتجنّب الضوضاء والأصوات العالية وتتجنّب الصدمات التي تعترضها كرمية حجر أو صدمة طائر ، كما صدمتني ومزّقت أحشائي ، أو ما شابَهها ولذلك تحبّ العزلة عن الأحياء المادية .

المخلوقات الروحانية

إنّ المخلوقات الروحانية على أقسام ، منها الملائكة ومنها الجنّ والشياطين ومها النفوس البشرية وغير ذلك ، وكلّ قسمٍ منها يسمّى "أمر" . قال الله تعالى في سورة شورى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ...الخ} ومعناه : وكذلك أرسلنا إليك جبريل الذي هو من مخلوقاتنا الروحانية . وقال تعالى في سورة المؤمن {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} ومعناه : ينزّل جبريل الذي هو من المخلوقات الروحانية على من يختارهم من عباده للنبوّة ، لينذر النبيّ الناس يوم التلاق ، وهو اليوم الذي يتلاقى فيه الأوّلون مع الآخِرين . وقال تعالى في سورة السجدة {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} ومعناه : ينزّل المخلوقات الروحانية من السماء إلى الأرض ثمّ تصعد إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنة . وقال تعالى في سورة الرعد {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ ...الخ} ومعناه : جعل الله للنبيّ معقّبات من بين يديه ومن خلفه "وهم الملائكة" يحفظونه من المخلوقات الروحانية الشرّيرة . وقال تعالى في سورة القدر{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ} يعني من كلّ قسم من المخلوقات الروحانية التي عندنا في السماء تنزل في ليلة القدر . وقال تعالى في سورة أسرى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} ومعناه : ويسألونك يا محمّد عن جبريل قل هو من مخلوقات ربّي الروحانية . فالمخلوقات الروحانية كلّ قسمٍ منها يسمّى "أمر" ومجموعها يسمّى "أمور" ؛ قال الله تعالى في سورة آل عمران {وَلِلّهِ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}، وقال أيضاً في نفس السورة {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} ومعناه : إنّ الصبر والغفران سيرة حسنة لأنّها من سيرة الملائكة .

صفاتها

إنّ المخلوقات الروحانية بأجمعها لا تراها البشر ولا غيرهم من الماديين إلاّ إذا هم أرادوا أن يرُونا أنفسهم فحينئذٍ نراهم . أمّا النفوس فلا نراها ولا يمكنها أن ترينا أنفسها إلاّ في المنام فقط ، والمخلوقات الروحانية يرى بعضها بعضاً . قال الله تعالى في سورة التوبة{ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ...الخ} فالجنود يريد بِها الملائكة . وقال تعالى في سورة الأحزاب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ...الخ} . وقال الله تعالى في سورة الأعراف تحذيراً من الشيطان {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} ومعناه : إنّ الشيطان يراكم هو ومن شاكَلَه من المخلوقات الروحانية من حيث لا ترَونَهم ، والميم للجمع . وأمّا قوله تعالى في سورة الفرقان {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ...الخ} فهذا يكون في عالم البرزخ وفي القيامة أي بعد الموت يرى الإنسان الملائكة لأنه أصبح روحانياً مثلهم .

أمّا كلامهم لنا فهو بالوحي أي يرسل الشخص منهم الكلام إلى ذهن من أراد مخاطبته من المادّيين فيفهمه ، وهذا يسمّى "وحي" . أمّا كلامهم فيما بينهم فهو كما نتكلّم نحن فيما بيننا ولكن يكون بالهمس أي لا صوت له يسمعه المادّيون ، ولكنّ الملائكة والجنّ يمكنها أن تتكلّم بكلامٍ له صوت ، أمّا النفوس البشرية فلا يمكنها ذلك بل يكون كلامهم لنا بالوحي . والوحي هو إرسال الكلام من شخص إلى شخص آخر يفهمه به بلا صوت ، قال الله تعالى في سورة هود {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ...الخ} ، وقال تعالى في سورة الأنعام {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} .

ولنذكر كلاً من المخلوقات الروحانية على حدة ، والله الموفّق للصواب .

الملائكة

إنّ الملائكة هي مخلوقات روحانية أثيرية ذات أجسام خفيفة شفّافة ، والملائكة يمكنها أن تصعد إلى السماء بلا جناح وتنزل إلى الأرض بسرعة ، ويمكنها أن ترينا أنفسها ، ويمكنها أن تتكلّم معنا فتسمعنا أصواتها

، وقد جاء بعض الملائكة إلى بعض الأنبياء فكلّمتهم وأخبرتهم بأشياء فسمعت الأنبياء كلام الملائكة ورأتها كما في قصة إبراهيم ونوح وداود ومريم بنت عمران . قال تعالى في سورة الذاريات {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} وضيف إبراهيم هم ملائكة ظهروا له بصورة بشر . وقال تعالى في سورةمريم {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} ، فالذي تمثّل لَها بصورة بشر هو جبريل . وقال تعالى في سورة ص {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} ، فالذين تسوّروا المحراب كانوا من الملائكة .

فالملائكة يمكنها أن تسمعنا أصواتها إلاّ أنه لا يكون بوضوح بل يكون كصوت الصدى أي كما يتكلّم الإنسان في الحمّام أو على جرف بحيرة فيسمع تكرار صوته من الهواء فيكون سمعه أقلّ وضوحاً من كلامه الذي تكلّم به . وكذلك المخلوقات الروحانية يكون كلامها أقلّ وضوحاً في أذن السامع مِمّا لو سمع من فم الإنسان . وهنا أذكر بعض الحوادث بمناسبة شاهد فأقول :

تعوّدتُ أن أنتبه كلّ صباح للصلاة ، فإذا صادف يوم لم أنتبه فيه أيقظتني أمّي إلى الصلاة ، فيتّفق أن أسافر إلى بعض البلدان وأنام في أحد الفنادق فلمّا يكون وقت صلاة الصبح أسمع أحداً يوقظني من نومي قائلاً : "محمّد علي أقعد صلّي" ، فأنتبه من نومي فلم أرَ من أيقظني ، ثمّ إنّ النائمين في الفندق لا يعرفونني ولا يعرفون اسمي فأتعجّب من ذلك وأقول في نفسي : "لا شكّ أنه ملكٌ من الملائكة جاء ليوقظني إلى الصلاة فحينئذٍ أقوم وأصلّي .

والملائكة بعضها بلا جناح ، ومنها من له جناحان مثل الطيور .

والملائكة كانوا بشراً في مبدأ خلقتها ولما توفّيت صارت نفوساً ، ثمّ ألبسها الله جلوداً أثيرية فصارت ملائكةً ، لأنّهم كانوا من الصالحين المتقين في دار الدنيا ، ولمّا انتقلوا إلى عالم الأثير جعلهم الله من الملائكة وأسكنهم جنّاته ، وكذلك الصالحون والمتقون منّا سوف يجعلهم الله من الملائكة ويسكنهم جنّاته . قال تعالى في سورة الزخرف {وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} فالآية تدلّ على أنّ الإنسان يمكن أن يكون من الملائكة .

والملائكة كانت تسكن السيارات القديمة أي كانت تسكن الأراضي القديمة التي تمزّقت في قديم الزمان وأصبحت نيازك ، هذا لمّا كانت في دار الدنيا ، أمّا اليوم فهي تسكن السماوات الأثيرية أي تسكن الجنان .

والملائكة تشبه النفوس في أكثر صفاتها فكما أنّ النفوس تأكل وتشرب وتجامع ولكن أكلها أثيري ، فكذلك الملائكة تأكل وتشرب وتجامع أزواجها ولكن كلّ ذلك أثيري ، وكما أن النفوس لا يكون لها أولاد ونساؤها لا تحيض فكذلك الملائكة ، وكما أنّ النفوس لا تنام كذلك الملائكة لا تنام ، والخلاصة أن الملائكة تشبه النفوس في أكثر صفاتها إلاّ في بعض الصفات فإنها تخالفها ، مثلاً إنّ الملائكة يمكنها أن تسمعنا أصواتها وترينا أنفسها ويمكنها نقل الأشياء الخفيفة ولكن النفوس لا يمكنها ذلك لأنّ الملائكة تغلفها جلود أثيرية ولكن النفوس ليس لها غلاف فلذلك لا يمكنها أن ترينا أنفسها أو تسمعنا أصواتها إلاّ في المنام ،

والنفوس لا يمكنها نقل الماديات ولوكانت ريشة طائر ، فإذا صار يوم القيامة فإنّ الله تعالى يلبسها جلوداً أثيرية فتكون كالملائكة فحينئذٍ يمكنها أن ترينا أنفسها أو تسمعنا أصواتها أمّا اليوم فلا .

قال الله تعالى في سورة الزخرف {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} فقوله تعالى {هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ} يعني هم ذكور لا إناث كما يزعمون ، وكانوا بشراً مثلهم ثمّ صاروا ملائكة وذلك لتقواهم وصلاحهم ،كقوله تعالى في سورة ص{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} ، ويدلّ على ذلك تذكير أسمائهم كلفظة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغير ذلك فهذه كلها أسماء رجال لا أسماء نساء . وقال تعالى في سورة النجم {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى . وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} .

والملائكة هم جند الله ورسله يرسلهم لتعليم الناس ولحفظ الأنبياء من شرّ الشياطين ولإحصاء أعمال الناس وليكونوا شهوداً عليهم يوم القيامة . قال الله تعالى في سورة فاطر {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ، فالملائكة كانوا بشراً في قديم الزمان وكان لهم أجنحة وكانوا من الصالحين ولما انفصلت نفوسهم عن الأجسام صاروا ملائكة . وقال تعالى في سورة الحج {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} .

فالإنسان إذا انفصل عن جسمه المادي عند الموت حينئذٍ يرى الملائكة ويمكنه أن يتكلّم معهم لأنه أصبح روحانياً مثلهم . قال تعالى في سورة الفرقان {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا} .

الجنّ

الجنّ من المخلوقات الروحانية ولكنّها لا تشابه الملائكة في كونها أثيرية ولا تشابه النفوس في ذلك ، لأنّ الجنّ خُلِقَت أجسامها من الغازات ونفوسها من الأثير ، فالغازات تعدّ من المادة ، فالجنّ إذاً هي مخلوقات مادية ولكنّها روحانية لأنه يمكنها أن تختفي عنّا ويمكنها أن ترينا أجسامها ، ويمكنها أن تمشي على الأرض ويمكنها أن تصعد في السماء بلا جناح ، وذلك لأنّ أجسامها خفيفة كالهواء ، ويمكنها أن تُسمعنا أصواتها .

والجنّ أطول أعماراً من البشر فهم يعيشون مئات السنين ، والجنّ تشبه البشر في أكثر صفاتها حيث أنّها تأكل وتشرب وتجامع أزواجها وتتناسل وتنام وتموت ... إلى غير ذلك من صفات البشر ، بينما النفوس والملائكة لا تنام ولا تموت ولا تتناسل ، و الجنّ يمكنها نقل الأشياء المادية بينما النفوس لا يمكنها ذلك ، فالجنّ تخالف النفوس والملائكة من هذه الوجهة وتخالف البشر من الوجهة الأخرى لأنّ البشر لا يمكنها أن تختفي عن الأنظار ولا يمكنها أن تصعد في السماء ولا غير ذلك مِمّا اختصّت به الجنّ .

و الجنّ تسكن الطبقات الغازية كما أنّ الملائكة تسكن الطبقات الأثيرية التي سبق الكلام عنها في كتابنا (الكون والقرآن) وبعضهم يسكن في الأرض وذلك في الخرائب والكهوف والمحلاّت التي لم تُسكَن . و الجنّ يكون أكلهم شيئاً غازياً مناسباً لهم وكذلك لباسهم ومتاعهم وبيوتهم كلّها من الغازات ، كما أنّ بيوت الملائكة من الأثير ، وبيوت البشر من المادّة . قال الله تعالى في سورة الرحمن {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} والمعنى : وخلق الجانّ من غازات خرجت من النار ، يقال "مرج من الطريق" أي خرج منه ، ويقال «مرج السهم من القوس» أي خرج وذهب ، ولا تزال هذه الكلمة متداولة عند العرب بالأخص البدو ولكنهم أبدلوا الجيم بالگاف يقولون «أمرگ" ومعناه إذهب ، فقوله تعالى {مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} يعني خلق الجانّ من غازات خرجت من النار . وقال تعالى في سورة الحجر{وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} يعني خلقها من سموم النار ، والسموم يريد بِها الغازات .

فالجنّ وإن كانت مخلوقات روحانية ولكن يمكنها أن ترينا أنفسَها وتُسمِعنا أصواتَها ، كما أنّ الغازات يمكن تحويلها من غاز إلى سائل ثمّ إلى جامد يُلمَس باليد ويُرى بالعين ، ثمّ تحويل ذلك الجامد أو السائل إلى غاز لا يُرى بالعين ولا يُلمَس باليد ، وإليك بعض الأمثلة عن ذلك :

إنّ غاز ثاني أوكسيد الكبريت يتحوّل إلى سائل إذا أُمرر في أنبوبة مبرّدة إلى درجة –١٠م أو باستعمال ضغط قدره ستة ضغوط جوّية في درجة الحرارة الاعتيادية ، وتجمّد في درجة –٧٦ م إلى مادة صلبة بيضاء تشبه الجليد ، فثاني أوكسي الكبريت تارة يكون غازاً وتارةً يكون سائلاً فالسائل منه والغاز يكونان عديمي اللون بينما الجامد منه يكون أبيض .

وإنّ غاز الأمونيا يتحوّل إلى سائل عديم اللون باستعمال ضغط قدره [٨,٥ ضغوط جوية في درجات الحرارة الاعتيادية] ، ثمّ إذا أغلي السائل عاد غازاً ثانيةً ، ويمكن تحويل الغاز إلى سائل وإرجاعه إلى غاز مراراً عديدة ومن هذه الخواص يستفاد في صناعة الثلج .

وإنّ اليود بتسخينه يتحوّل إلى غاز أحمر وردي وعند تبريد الغاز يعود إلى مادة صلبة بنية اللون ، ويمكن تحويلها إلى غاز ثمّ تحويل الغاز إلى صلب وتكرار هذه العملية عدّة مرّات .

وإنّ الزيبق يتحوّل إلى بخار عديم اللون عند التسخين ، ثمّ يعود كما كان عند التبريد ، ويتجمّد الزيبق بالبرودة بدرجة [– ٣٨,٩ أو بضغطٍ قدره ٦ , ٧ ضغط جوّي .]

وإنّ الأوكسجين غاز عديم اللون فإذا ضُغِط في درجة – ١١٩° م تحوّل إلى سائل ذي لون أزرق .

وهكذا تتغيّر الغازات بالبرودة والحرارة فتارةً تكون سوائل وأخرى تكون جوامد وأخرى تكون غازات لا تُرى بالعين ولا تُلمَس باليد ، فكذلك الجنّ يمكنها أن تختفي عن أنظارنا ويمكنها أن تُرينا أجسامها ويمكنها أن ترتفع في السماء ويمكنها أن تنزل في الأرض .

شبح فرنسا الأحمر

الشبح يدخل والأبواب مغلقة

الشياطين

الشياطين هم فسقة الجن ،ولفظة شيطان معناها ((مكّار كذّاب حيّال دجّال))

قال الله تعالى في سورة الأنعام{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}

فقوله تعالى{شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ} يعني دجّالي الأنس والجن و محتاليهم

والدليل على ذلك قوله تعالى{يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}

ومعناه يغري بعضهم بعضا ويحتال بعضهم على بعض بالكذب والدجل .

وقال تعالى في سورة النساء {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا} وقال تعالى في سورة البقرة {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ} فقوله تعالى{ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} يعني الذين يغوونهم ويكذبون عليهم ومن ذلك قول جرير

أيام يدعونني الشيطان من غزلي وكنّ يهوينني إذا كنت شيطانا

فالشياطين هم فسقة الجن قال الله تعالى في سورة الأنعام {وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ} يعني يقال للشياطين يوم القيامة :يا معشر الجن قد أغويتم كثيرا من الأنس .

إبليس

إن إبليس كان اسمه ((عزازيل)) وإنما سمّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله أي أفلس منها وذلك كقول الله تعالى في سورة الروم {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} يعني يفلسون من رحمة الله ويفلسون من أعمالهم فلا يؤجرون عليها.

وإبليس كان من الجن وهو أبوهم كما أنّ آدم هو أبونا ولكنّ إبليس مات وانفصلت نفسه عن جسمه الغازي ثم ألبسه الله تعالى جلدا أثيريا فصار كالملائكة وأدخله الله تعالى الجنان الأثيرية لأنه كان من الأتقياء فبقي مع الملائكة ، ولما خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر فأخرجه الله من الجنان الأثيرية ولعنه .

قال الله تعالى في سورة الكهف {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} فقوله تعالى {كَانَ مِنَ الْجِنِّ} يعني قبل موته كان من الجن ولما مات صار مع الملائكة لانه اصبح مخلوقا أثيرياً ، وقوله تعالى {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي} يعني توالونه ولاتوالوني وتوالون ذريته الجن وتعبدونهم وتتركون عبادتي (كانت قبيلة من العرب تعبد الجن ويقولون ان الجن بنات الله) وقوله {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء} دليل على ان الجن الموجودين اليوم هم ذرية إبليس وأنه أبوهم ، أي بئس ما اتخذتموه بدلاً من دوني حيث أبدلتم المخلوق بالخالق ووالليتم المرزوق وتركتم الرازق على أنهم أعداء لكم ومهما استطاعوا يرمونكم في المهالك .

العذاب والنعيم في البرزخ

إعلم أنّ العذاب والنعيم في عالم الأثير أي بعد الموت يكون شيئاً طبيعياً ولكنه من الله تعالى ، وذلك كما يكون في دار الدنيا إذ نرى رجلا حقيراً ذليلاً والآخر عزيزاً شريفاً محترماً ، ونرى شخصاً غنياً له أموالٌ وأولادٌ وزوجات وخدم ،بينما نرى الآخر فقيراً ليس له شيء من متاع الدنيا فهو يتعب في تحصيل قوته ، ونرى رجلاً قضى حياته في أنس وطرب ، بينما الآخر قضى عمره في السجون والهموم والأحزان ،

فهكذا يكون العذاب والنعيم في عالم البرزخ أي بعد الموت ، وهذا مُعدّ لهم من الله ولكنهم يظنونه شيئاً طبيعياً ، فالكافر والفاسق والمنافق يكونون هناك فقراء أذلاء مقهورين مهمومين ، أما المؤمنون والمتقون والصالحون فيكونون هناك أغنياء أعزّاء محترمين فرحين حتى يوم الدين ،

[نعيم الصالحين بعد الموت]

وذلك لأن المؤمن إذا مات جاءه ((رقيب عتيد)) وهو الملك الذي كان معه في دار الدنيا يكتب أعماله ويحصي عليه سيئاته فيسلّم عليه ويبشّره بدخول الجنة يوم القيامة فيكون رفيقه في عالم البرزخ ويؤنسه ويرشده إلى كلّ صلاح وينهاه عن كلّ شيء فيه أذى وعناء ، ويحرسه من ألشياطين والجن والنفوس الشريرة فلا يدع أحداً منهم يصل إليه بأذى ، فإذا صار اللّيل خرج به إلى الحدائق والرياض والمتنزّهات فيؤنسهُ ويلاطفهُ حتى مطلع الشمس فيرجع بهِ إلى محله الذي أعدّهُ له فيختفي هناك عن ضياء الشمس ويجلس مع زوجته وأولاده وأقاربه الذين معه في عالم البرزخ فيتحدثون ويتسامرون ويأكلون ويشربون (الأكل والشرب يأتي به الملك وهو شيء أثيري) ويهجعون إن أرادوا الهجوع ويتناكحون إن أرادوا (ذلك لمن كانت له زوجة في عالم الأثير) حتى يكون وقت المغرب فيخرجون ويتزاورون فهم في أنس وسرور حتى مطلع الشمس فيعودون إلى أماكنهم ويبعثُ

الله لهم ريحاً طيبة ينتعشون بها ويجعل صدورهم منشرحة ، فهم مسرورون منعّمون فكهون إلى يوم الدين . وأما أن يبعث الله لهم أحد أوليائه فيرشدهم إلى الصلاح والنعيم فهذا هو نعيم الصالحين في عالم البرزخ .

[عذاب الكافرين بعد الموت]

أما عذاب الكافرين بعد الموت فإنه إذا مات تبرّأ منه الملكان وهما ((رقيب عتيد وملك الموت)) وتركاه وانصرفا عنه ، فحينئذٍ تأتي إليه الشياطين والجن والنفوس الشرّيرة فيؤذونه و يزعجونه و يسجنونه و يسخرون منه ويضحكون عليه فيريد أن يتخلص منهم فلا يتمكن ، فإذا صار النهار أخذوه وصعدوا به إلى الفضاء ليسترق السمع فيبقى تحت أشعة الشمس فيقاسي حرّها ويتألم من أشعتها ، وإذا صار الليل يسجنونه ، وهكذا يبقى في مشقة وعناء وهمّ وحزن وسخرية إلى يوم القيامة . قال تعالى في سورة الحج {حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} فقوله تعالى {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء} يعني من يشرك بالله فقد عرَّض نفسه للخطر وألقى بها في الهاوية وذلك كالأرواح التي تعبث بها الشياطين وتضحك عليها فتصعد بها الى السماء لتسترق السمع فإذا رأت شهاباً تبعها أو ملكاً طردها خرّت إلى الأرض مسرعة {فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ} يعني إذا صادفها طير في طريقها خطفها فمزّق أحشاءها لأنه يدخل من بطنها ويخرج من ظهرها أو عكس ذلك {أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} يعني تصادفها رياح عاصفة فتحمل تلك الروح الى مسافات بعيدة وتلقي بها في مكان عميق فتسقط بين الصخور أو في وادٍ من الوديان فتتكسّر وتتألم وذلك لأنها اتّبعت قول الشيطان ولم تسمع لوصايا الرحمن ،

وأما أن يبقى عريان بين النفوس جائع عطشان لا يجد طعاماً ليأكل ولا ماء ليشرب فيذهب إلى الأنهر فيرى الماء يتلألأ كأنه بطون الحيّات فيبسط كفّيه إلى الماء ليشرب ويرتوي فلا يمكنه ذلك لأنه أثيري والماء الذي في الأنهر مادّي فيتحسر ويقوم ويذهب إلى نهر آخر لعلّه يروي ظمأه فلا يكون نصيبه من ذلك إلا الفشل ، أما الصالحون فالماء الذي يشربون أثيري لا مادي تأتيهم به الملائكة . وهكذا يبقى هذا الكافر عريان بين النفوس جائع عطشان لا يجتمع بزوجته ولا بأولاده فهو حقير ذليل الى يوم الدين .
قال الله تعالى في سورة الرعد{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ}
ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الأصنام وغيرها ويسئلون حوائجهم منها فقال{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} يعني إنّ الذي يدعو الناس الى عبادة الله وإلى التوحيد فإنّ دعوته دعوة حق ، وأن سأل حاجته من الله فإن الله يستجيب له دعوته {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يعني أما الذين يدعون إلى عبادة الأوثان ويعبدونها و يسألون حاجتهم منها {لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ} يعني ألاصنام لا تقضي حوائجهم ولا تستجيب لهم بشيء لأنها جماد { إِلاَّ} الأماني والآمال وهو يصبّر نفسه ويفرحها ويقول لها إن الأوثان سوف تقضي حاجتي وأفرح بذلك ، ولكن لا يجد ما أمّله وتمنّاه إلاّ الخسران{كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} الكاف كاف التشبيه والمعنى : كشخص عطشان وقد أشتد بهِ العطش فرأى نهر ماء يجري ففرح وقال في نفسه سأذهب الى ذلك النهر وأشرب وأروي غليلي ، فلما وصل إلى النهر وبسط كفّيه إلى الماء ليرفعه إلى فمه ويشرب وإذا به لا يتمكن

من رفعه ولا من شربه لأنّ الماء مادّي والشخص العطشان أثيري (أي نفس أثيرية) ففشل وخابت آماله ورجع من النهر بعطشه ، كذلك المشركون لا يصيبهم من عباده الأوثان إلا الندامة والخسران .

وقال تعالى في سورة طه {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} ومعناه ومن أعرض عن ذكر الله في الدنيا فأن له في عالم البرزخ معيشة ضنكا ، أي عيشاً كدراً {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} عن طريق الجنة ,

وقال تعالى في سورة أسرى {وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} ومعناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن طريق الحق فهو في عالم البرزخ أيضاً أعمى عن طريق الحق لأنّ العقائد التي اكتسبها في الدنيا بقيت معه في الآخرة ، ثم إنّ الشياطين تحيط به وتغويه .

وقال تعالى في سورة مريم {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}

وقال عز من قائل في سورة يونس {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} ومعناه الذين كسبوا السيئات في دار الدنيا جزاء سيئة بمثلها في الآخرة وترهقهم ذلة .

وقال تعالى في سورة النحل {تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ومعناه : تالله لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك يا محمد فلم يؤمنوا لأنّ الشيطان زيّن لهم أعمالهم الفاسدة فأهلكناهم بسبب كفرهم{فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ} أي أنّ الشيطان وليهم وصاحبهم اليوم في عالم البرزخ يعني استولى عليهم واستحكمَ فيهم{ وَلَهُمْ} يوم ألقيامة {عَذَابٌ أَلِيمٌ}

وقال عز من قائل في سورة الحج {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ .كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} يعني {مَن تَوَلَّاهُ} في دار الدنيا {فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ} في الآخرة عن طريق الصلاح {وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}ويريد بذلك الطبقات الغازية وسنان الشمس .

وقال تعالى في سورة المؤمن {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} فالنار هنا يريد بها الشمس والدليل على ذلك قوله تعالى {يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} ولم يقل يدخلون فيها ، لأنهم يعرضون على الشمس فيصيبهم من حرّها ويتألّمون من أشعّتها.

وقال تعالى في سورة الزخرف {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}يعني يكون قرينه في عالم البرزخ . {حَتَّى إِذَا جَاءنَا} يوم القيامة {قَالَ} الكافر للشيطان {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} كنت لي في دار الدنيا وفي عالم البرزخ .

و قال تعالى في سورة الواقعة {وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} يعني منزل فيه الحرارة ، وهي حرارة الشمس وسنانها {وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} يوم القيامة .

وقال عزّ وجل في سورة الجنّ {وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} لأنّ الطبقات الغازية فوقهم فيسلكون طريقها ويصعدون إليها فيتعذّبون بِحَر الشمس ،لأنّ الشياطين تأخذهم إليها كاذبين عليهم وساخرين بهم وهذا ما يفعله العدوّ بعدوّه.

وقال تعالى في سورة الليل {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} .

وقال تعالى في سورة الغاشية {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} يعني عاملة ناصبة في البرزخ وتصلى ناراً حامية يوم القيامة .

وقال تعالى في سورة البقرة) {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ، فالطاغوت هم الشياطين وملخّص القول إن العذاب في البرزخ لا يكون في جهنّم ولكن إما أن يسلّط الله عليه بعض النفوس الشرّيرة فتؤذيه ، وإما أن يسلّط عليه بعض الشياطين أو بعض الجن أو يسلّط أرواح بعض الحيّات والعقارب أو يكون فقيراً ذليلاً أو يكون جائعاً عطشاناً لا يرتوي أو غير ذلك مما يجعله مهموماً لا يهنأ له عيش ولا يطيب له خاطر .

سؤال ١٠ : لماذا تذهب النفس الكافرة مع الشياطين فيعذّبوها فلولا امتنعت عن الذهاب معهم لتخلّصت منهم ؟

جواب : إنّ النفس الكافرة لا يمكنها أن تمتنع عن الذهاب معهم ولا التخلّص منهم ، كما أنّ المجرم في دار الدنيا إذا جاءه عشرة من الشرطة وأرادوا أخذه إلى المركز فهل يمكنه أن يمتنع عنهم ؟على إن المجرم يكون أعزل من السلاح والشرطة حاملي البنادق ، كذلك النفس لا يمكنها أن تهرب وتتخلّص من الشياطين إن كانت كافرة . قال الله تعالى في سورة أسرى مخاطباً إبليس

{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا}

فإن كانت النفس الكافرة خائفة جبانة فيأتي إليها أحد الشياطين وبيده السلاح فيصرخ بها فيزداد خوفها فتسلّم له أمرها فيضع القيد في يديها وسلسلة في رقبتها ويقودها معه فتطيعه ،

وذلك معنى قول الله تعالى {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} أي خوّفهم بصوتك ،

أما إذا كانت النفس الكافرة لا تخاف وهي من الشجعان جاءها جيش من الشياطين منهم الخيّالة ومنهم الرجّالة وبأيديهم السلاح فترهبهم وتنقاد معهم فيأخذونها مغلولة الأيدي ويعذبونها أنواع العذاب ، وهذا معنى قوله تعالى {وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ}أي بخيّالتك ورجّالتك ،

أما قوله تعالى {وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا} قلنا فيما سبق إن كلّ شيء مادّي يتكوّن داخله هيكل أثيري مثله فإذا تحطم المادي فان الأثيري يبقى ولا يتحطّم ، فمن جملة الأموال التي يشاركهم بها الشيطان هي الخيل، فإذا كان لأحد الكافرين و المشركين خيل ثم ماتت فإنّ الشياطين تأخذ أرواحها وتركبها ، وكذلك الأثاث والمتاع ، أمّا مشاركتهم في الأولاد فإنّ الشياطين يأخذون

أولاد الكافرين بعد موتهم ليخدموهم في عالم البرزخ1))

---

(١)أرى أنه يريد أولاد الكافرين الذين بلغوا سنّ الرشد ، أمّا الذين يموتون وهم دون ذلك فيموتون على دين الفطرة دين الإسلام ولذلك يكونون خدماً لأهل الجنة --
المراجع

تعليمات

إذا حضرتك الوفاة وعرفت أنّك ستنتقل عن قريب من العالم المادّي إلى العالم الأثيري فاستغفر لذنبك وتضرّع لربّك وتعوّذ من الشيطان وقل:

((اللهم اعطف علي برأفتك وأدخلني في رحمتك واجعل لي مكاناً في جنتك ، اللهم اصرف عني شرّ الجان وكيد الشيطان إنك أنت الكريم المنان ، اللهم فاستجب دعائي واجعل ملائكتك رفقائي ولا تجعل الشياطين أوليائي ، اللهم انت وليّي في الدنيا والاخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين ، اللهم إنّي من الدنيا ارتحلت وبجوارك نزلت وبابك طرقت فارحمني برحمتك وأعطني من كرمك وأجرني من سخطك ، اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون ، اللهم أعطني مناي واجعل الجنّة مأوايورحمتك قراي إنك أنت أرحم الراحمين .))
كرّر قراءة هذا الدعاء قبل الموت وبعد الموت ويصحّ قراءته قبل النوم في كلّ ليلة لأنّ النائم كالميّت .

أما ماذكره الله تعالى للمؤمنين في عالم البرزخ قوله تعالى في سورة آل عمران {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}فقوله تعالى {عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} يعني في عالم الأثير لهم رزق تأتي به الملائكة من ثمار الجنة ، وقوله تعالى {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ} يعني من المتاع والأثاث والزينة {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم} يعني بالذين لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا وهم أطفال ،فلما وجدوهم أمامهم في عالم الأثير فرحوا بهم واستبشروا ،وذلك لأنّهم كانوا يظنّون أنّهم عدموا من الوجود بموتهم ،فلما انتقلوا إلى عالم الأثير وجدوهم أحياء غير معدومين فاستبشروا بهم وفرحوا بلقياهم ، ومنهم أولادهم الذين ماتوا أطفالاً ولم يلحقوا بالآباء في الطول ولم يكونوا رجالاً ، وذلك قوله {مِّنْ خَلْفِهِمْ} وأصلها من خَلَفِهم ،بفتح الخاء واللام وكسرالفاء والخَلَف هم الأولاد ، ثم قال تعالى {أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} يعني لا خوف عليهم من النفوس الشرّيرة والشياطين والجن ، ولا هم يحزنون كما يحزن الكافرون في عالم البرزخ لِما يصيبهم من الإهانة والتعب .

وقال تعالى في سورة آل عمران {فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} فقوله تعالى {بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ} يعني التي تأتيهم بها الملائكة وترشدهم اليها ، وقوله {لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} يعني من الشياطين والجن والنفوس الشريرة لأنّ الملائكة تحرسهم . وقال تعالى في سورة يونس {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} فقوله تعالى {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى} يعني في عالم البرزخ لهم الحسنى وزيادة من الله {وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ} كما يرهق الكافرين {وَلاَ ذِلَّةٌ} كما يلحق الفاسقين والمنافقين في عالم البرزخ {أُوْلَئِكَ} المؤمنون {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} يوم القيامة .

وقال عزّ من قائل في سورة الليل {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} يعني بعد موته نيسّره لليسرى وذلك في عالم البرزخ.

وقال تعالى في سورة الانعام {لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} والمعنى لهم دار السلام عند ربهم في عالم الأثير ، والله يتولى أمورهم جزاء بما كانوا يعملون .

وقال تعالى في سورة النحل {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ، فقوله تعالى {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} يعني في عالم البرزخ اي في عالم الأثير ، فالمؤمنون لهم حياة طيبة ، والكافرون لهممعيشة ضنكا ، وقوله {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني في القيامة . وقال عزّ وجلّ في سورةالحج {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} يعني في عالم البرزخ لهم رزق كريم . وقال ايضاً [في نفس السورة] {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} فقوله تعالى {لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ} يعني في عالم البرزخ ، أمّا يوم القيامة فيدخلهم الجنة . وقال عز من قائل في سورة الواقعة {فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلاَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } فقوله تعالى {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} يعني له ذلك في عالم البرزخ {وَجَنَّةُ نَعِيمٍ} يوم القيامة ، وملخص القول إنّ النعيم في البرزخ أي بعد الموت لا يكون في الجنة ذاتها ولكن يوكّل الله بهم بعض الملائكة فيأتون اليهم من ثمار الجنّة ومن ثيابها وأثاثها ويؤنسونهم ويدفعون عنهم كلّ مكروه ويرشدونهم إلى الخير والصلاح فيكونون أغنياء أعزّاء بين النفوس في أهنأ عيش وأطيب خاطر ، فعلى كلّ حال هم مسرورون منعّمون فرحون بما آتاهم الله من فضله حتّى يوم الدين .

الحساب والجزاء

يقول بعض الناس أنّ الحساب يكون في القبر وذلك بأن يأتي الملكان وهما (منكر ونكير) يحاسبان الميت ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه وعن غير ذلك .

وأقول ليس في عالم البرزخ حساب ولا منكر ولا نكير ، وإنّما الحساب والمحاكمة ودخول الجنة ودخول جهنّم كلّ ذلك يكون يوم القيامة ،

والدليل على ذلك قول الله تعالى في سورة البقرة {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} فبيّن سبحانه أنّ الحكم يكون بينهم يوم القيامة ، ولم يقل إن الله يحكم بينهم في القبر أو عند الموت .

وقال تعالى في سورة آل عمران {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} ،

وقال تعالى في سورة الروم {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} فبين سبحانه أن التفرقة بين المؤمنين والكافرين تكون يوم القيامة ، فالمؤمنون في روضة يحبرون ، والكافرون في العذاب محضرون .

وقال تعالى في سورة يس {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} ، فبيّن سبحانه أنّ هؤلاء الكافرين إذا صار يوم القيامة وخرجوا من قبورهم حينئذٍ يقولون {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}.

وقال تعالى في سورة ابراهيم { وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}، فبيّن سبحانه أنّه ليس بغافلٍ عمّا يعمل الظالمون ولكنّه تعالى يؤخّرهم ليوم القيامةفيجازيهم على أعمالهم .

وقال تعالى أيضا في نفس السورة {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ} ، فقوله {يَوْمَئِذٍ} يعني يوم القيامة .

وقال تعالى في سورة النحل {إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} فبيّن سبحانه وتعالى أنه يوم القيامة يتبيّن لهم الحقّ من الباطل بما اختلفوا فيه في دار الدنيا ، فلو كان في القبر حساب لبيّن لهم ذلك في القبر .وقال في سورة طه {مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا}.

وقال تعالى في سورة الانبياء {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} فالموازين هي قوانيين الحكم .

وقال تعالى في سورة الزمر {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} فبيّن سبحانه أنّ المخاصمة تكون يوم القيامة .

وقال تعالى في سورة الحج {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

وقال أيضاً [في نفس السورة]{اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} ،

وقال تعالى في سورة العنكبوت {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}

سؤال ١١ :أنت تقول لا يدخل الإنسان الجنّة ولا النار إلاّ يوم القيامة إذاً فما معنى قوله تعالى في سورة ي س {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}
وقال تعالى في سورة نوح {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} ؟

الجواب :إن دخول الجنة والنار في عالم البرزخ هو خصوصي لا عموميا ،أما الجنة فلا يدخلها في عالم البرزخ إلا الأنبياء والاولياء وبعض الشهداء . وكذلك دخول النار هو خاصّ لكل أُمة كذّبت رسولها مواجهة ، وأما الذين لم يأتهم نبيّ فهؤلاء لا يدخلون النار في عالم البرزخ بل يكون ذلك يوم القيامةّ لأنهم لم يشاهدوا النبي بأعينهم بل نقل لهم عنه آباؤهم ، ثانياً إنّ النار التي يدخلها الكافرون في عالم البرزخ ليست هي جهنّم التي يدخلونها يوم القيامة بل هي الطبقات الغازية وسنان الشمس .

المحشر

قلنا في كتابنا (الكون والقرآن) أن يوم القيامة هو اليوم الذي تتمزّق فيه الأرض والمجموعة الشمسية بأسرها ، فاذا كان ذلك فإنّ النفوس تنفر من الأرض وتنتشر في الفضاء وهنالك يكون المحشر أي يكون في الفضاء ، ومثل ذلك يكون كمثل كورة زنابير ملتصقة في أحد السقوف فأصابها حجر فتمزّقت الكورة وسقطت ، فإنّ الزنابير تنتشر في الفضاء إذ لم يبق لها مأوى تأوى إليه ، فكذلك النفوس إذا تمزّقت الأرض وتناثرت فأنها تنتشر في الفضاء ، وتترك تلك القطع المتناثرة ، والحساب والجزاء أيضاً يكون في الفضاء .

قال الله تعالى في سورة المؤمن {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ، فقوله تعالى {بَارِزُونَ} يعني ظاهرون للعيون لا يمكنهم أن يستتروا لأنّهم في الفضاء ولم تبقَ لهم أرض يختفون بها .

وقال تعالى في سورة شورى {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ} ، فقوله تعالى {مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ} لأنّ الأرض تتمزق ولا يبقى لهم ملجأ يلجئون اليه فينتشرون في الفضاء .

وقال تعالى في سورة إبراهيم {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} فالبارز هو الظاهر للعيون ، وفي ذلك قال عمرو بن كلثوم :

ترانا بارزينَ وكلّ حيٍّ قدِ اتّخَذُوا مخافتَنا قَرينا

وقال الله تعالى في سورة القمر {خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} يعني تنتشر النفوس في الفضاء كما ينتشر الجراد .

وقال تعالى في سورة القارعة {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} والفَراش بفتح الفاء هي الحشرات التي تتطاير حول المصباح وفي ذلك قال الشاعر:

إنّ لِلناسِ حولَ خدّيكِ حَوماً كالفَراشِ الذي علَى النارِ حاما

والمبثوث معناه المنتشر ، وفي ذلك قال النابغة :

وأنتَ كالدهرِ مبثوثاً حبائلُهُ والدهرُ لا ملجأٌ منهُ ولا هَرَبُ

وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّهُمْ حَرْشَفٌ مَبْثُوثُ بِالْجَوِّ إِذْ تَبْرُقُ النِّعَالُ

والحرشف هي صغار الطير .

وقال الله تعالى في سورة القيامة {يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ . كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} يعني يكون المستقر اليه في السماء لأنَ الكواكب السيارة تتمزق .

وقال تعالى في سورة يس {إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} يعني لدينا في السماء .

وقال ايضاً في نفس السورة {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} يعني اليه في السماء .

وقال تعالى في سورة العنكبوت {وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} والمعنى : وما أنتم أيها الناس بمعجزي الله في ألأرض حيث أنّكم ماديون تسكنون ألأرض ولا بمعجزيه في السماء لَمّا تكونون أثيريين تنتشرون في الفضاء .

وقال تعالى في سورة الرحمن {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} وهذا القول يقال لهم يوم القيامة ، والمعنى :إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السيارات والأرض اللاتي تمزّقن فاخرجوا .. إلخ ، وذلك لأنّ المحشر يكون في فضاء السيّارات المتمزّقة .

قال الله تعالى في سورة الرحمن {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} واصلها { ورِدَةً} بكسر الراء ، والدهان جمع دهن، والدهن هي النقرة التي تكون بين جبلين ، والمعنى : فإذا انشقّت السماوات الغازية حينئذٍ تكون السماء مورداً للنفوس فتجتمع فيها كما تجتمع مياه الأمطار في الدهان ،أي في النقر وذلك كقوله تعالى في سورة مريم {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} فالورِد هو الوصول إلى محلٍّ أو مكان ، كما قال عمرو بن كلثوم :

ونشربُ إن وَرَدْنا الماءَ صَفواً ويَشربُ غيرُنا كدراً وطِينا

وقال الله تعالى في سورة الانشقاق {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} يعني وألقت ما فيها من الناس والمخلوقات وتخلّت ، يعني فرغت منهم لأنهم يحشرون في الفضاء . وقال تعالى في سورة الاعراف {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} يعني تخرجون من الأرض فلا يبقى أحدٌ فيها فكلّكم تصيرون إلى الفضاء.

الحشر للنفوس

قلنا فيما سبق أنّ المحشر يكون في الفضاء وأقول إنّ البعث والحشر والحساب والجزاء والعقاب كلّ ذلك يكون للنفوس ولا حاجة للأجسام .

قال الله تعالى في سورة البقرة {وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} فإنّه تعالى خصّ النفوس بالجزاء دون الأجسام .

وقال تعالى أيضاً [في نفس السورة] {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} فإنّ الله تعالى خصّ النفوس بذلك دون الأجسام.

وقال تعالى في سورة آل عمران {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} فإنّ الله تعالى خصّ النفوس بالمكافآت على أعمالها دون الأجسام . وقال ايضاً [في نفس السورة] {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ ..إلخ} ، فإنّ الله تعالى خصّ النفوس بذلك دون الأجسام .

وقال عزّ من قائل في سورة إبراهيم {لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}

وقال [سبحانه] في سورة ق {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} .

وقال تعالى في سورة الجاثية {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ،

وقال تعالى في سورة الانفطار {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} ،

وقال تعالى في سورة يونس {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}

وقال تعالى في سورة ال عمران {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} ،

وقال تعالى في سورة النحل {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} ،

وقال تعالى في سورة يس {فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} ، وقال تعالى في سورة الزمر {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ} ،

وقال تعالى في سورة المؤمن {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} ،

وقال تعالى في سورة المدثر{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ} ،

وقال تعالى في سورة التكوير {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} ،

وقال تعالى في سورة الانفطار {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} ،

وقال تعالى في سورة الفجر{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي}

وقال تعالى في سورة أسرى {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} فالسمع والبصر والفؤاد كلها من حواس النفس لا من أعضاء ألجسم . وقال تعالى في سورة السجدة {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فالسمع والبصر هما من حواس النفس ، أمّا الجلود فهي أثيرية أيضا.

لا معاد للأجسام

قلنا فيما سبق أنّ البعث والحشر والحساب والجزاء والعقاب للنفوس ولا حاجة لإعادة الأجسام إلى الحياة لأنّ النفس هي الإنسان الحقيقي .

قال الله تعالى في سورة يونس {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فإنّ الله تعالى لم يذكر حياة بعد ذكر الموت بل قال بعدها {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يعني تموت الأجسام وإليه ترجع النفوس . وقال تعالى قي سورة الحجر {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} فذكر الموت ولم يذكر حياة .

وقال أيضاً [في نفس السورة] {وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} فإنّه تعالى قال {يَحْشُرُهُمْ}ولم يقل يحييهم ، والحشر معناه الجمع أي يجمعهم ،كقوله تعالى في سورة النمل {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} وقال أيضاً في سورة ص {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ} ،

وقال تعالى في سورة هود {وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} فقوله تعالى {مَّبْعُوثُونَ} ولم يقل تحيون من بعد الموت ، والبعث هو إرسال الشخص من مكان الى مكان آخر ، ومن ذلك قول طرفة:

قدْ يَبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ حتّى تَظَلَّ لهُ الدماءُ تَصَبّبُ

وقال حسان :

وانتَصَيْنا نَواصِيَ اللّهوَ يوماً وبَعَثْنا جُناتَنا يَجْتَنُونا

وقال امرؤ القيس :

بَعَثْنا رَبِيئاً قبلَ ذلك مخملاً كذئبِ الغَضَى يَمشي الضَّراءَ ويَتَّقِي

وقال عنترة :

وصحابةٍ شُمِّ الأنوفِ بَعَثْتُهُمْ ليلاً وقدْ مالَ الكَرَى بِطِلاها

وقال الله تعالى في سورة المائدة {وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا} ومعناه : أرسلنا منهم اثني عشر نقيباً . وقال تعالى في سورة النحل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ

وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} وقال تعالى في سورة الفرقان {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا}

وقال تعالى في سورة ألمؤمنين {ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ} فإنّه تعالى قال {تُبْعَثُونَ} ولم يقل تحيون .

وقال تعالى في سورة الجاثية {قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} .

وقال تعالى في سورة ألفرقان {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ}

وقال تعالى في سورة ق {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} فإنه تعالى لم يذكر بعد الأماتة حياة بل قال بعدها {وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} ،

وقال تعالى في سورة السجدة {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ . قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}فأخبر سبحانه بأنّ أجسامهم إذا ضلّت في الأرض وتناثرت لا حاجة لخلقها جديداً لأنّ الحساب والجزاء يكون للنفوس ، والنفوس باقية لا تموت بل تموت الأجسام ، وذلك قوله {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} فإنه تعالى لم يذكر حياة بعد ذكر الوفاة بل قال بعدها {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}

وقال تعالى في سورة الدخان {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} فإنه سبحانه ذكر الموت ولم يذكر بعده حياة.

وقال تعالى في سورة الحديد {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ،

وقال تعالى في سورة المعارج {كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ . فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} ، والمعنى إنّنا قادرون على إحياء الأجسام الميتة وننشيء فيها نفوساً أحسن وأصلح من هؤلاء الكافرين ولكنّنا غير مسبوقين لذلك .أي لم يسبق لنا أن نفعل ذلك فنحيي الاجسام الميتة وننشيء فيها نفوساً جديدة بل نخلق أجساما حديثة في الأرحام وننشيء فيها نفوساً أخرى .

وقال تعالى في سورة الواقعة {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} فقوله تعالى {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} يعني لم نسبق لنا أن نحي الأجسام الميتة كما تظنون وننشيء فيها نفوساً أمثالكم ولكنّكم تقولون أقولاً لا تعلمون أصلها ولا كيفيّتها فتقولون : من يحيي العظام وهي رميم ، فتظنون أنّ ألإنسان هو الجسم المادّي ولو علمتم علم اليقين لعرفتم أنّ الإنسان هو النفس الأ ثيرية ولعرفتم أنْ لا حاجة إلى إعادة الأجسام المادّية .

إعتراض

سؤال١٢: أنت تقول لا معاد للأجسام وإنما البعث للنفوس،إذا فما معنى قوله تعالى في سورة القصص {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} ؟

جواب: إن النبي (ع) لَمّا نزل الجحفة بين مكّة والمدينة وعرف الطريق إلى مكّة فاشتاق إليها ، فأتاه جبريل فقال : أتشتاق الى بلدك ؟ قال : نعم ، قال فإنّ الله تعالى يقول {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} ، ومعناه إنّ الله يعيدك إلى مكّة فلا تحزن على فراقها .

سؤال ١٣ : فما معنى قوله تعالى في سورة الروم {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ؟

جواب :يعني يبدأ الخلقَ من التراب ثم يعيده إلى التراب ثمّ إليه ترجع نفوسكم يوم القيامة .

سؤال ١٤ :فما معنى قوله تعالى في سورة يس {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} ؟

جواب :معناه إنّا نجعل للجماد حياة فنخلق منه الإنسان والحيوان والنبات ، والمعنى إنّا خلقناهم من التراب الذي لا حياة فيه .كقوله تعالى {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ} أي كنتم جماداً فجعلكم أجساماً حيّة تأكل وتشرب وتقوم وتقعد إلى غير ذلك والدليل على ذلك قوله تعالى {ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا} فالكتابة للأعمال لا تكون في الآخرة بل تكون في الدنيا وهي كتابة الملَك (رقيب عتيد) .

سؤال ١٥ :فما معنى قوله تعالى في سورة السجدة {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ؟

جواب: تفسير هذه الآية كالّتي قبلها ،والمعنى إنّ الذي أحيا الأرض بالمطر هو الذي خلقكم وجعلكم أحياء بعد ما كنتم جماداً وهو قادرٌ أيضاً على إحياء الموتى ولكن لا حاجة إلى ذلك .

سؤال ١٦: فما معنى قوله تعالى في سورة القيامة {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ}؟

الجواب :معناه أيحسب الإنسان أنّنا لا نقدر على جمع عظامه وإرجاعها على ما كانت عليه ؟ بلى قادرين على إعادة الاجسام حتّى على تسوية البنان فنجعل الخطوط فيها كما كانت أوّلاً ولكن لا حاجة إلى إعادة الأجسام.

سؤال ١٧:فما معنى قوله تعالى في سورة الحج {وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ} ؟

الجواب : معناه وهو الله الذي أحياكم الحياة المادية ثمّ يفصلكم عنها (لأنّ لفظة موت معناها الإنفصال) ثمّ يحييكم الحياة الأثيرية إنّ الإنسان لكفورٌ للنِّعم . وذلك لأنّ الله تعالى يلبس النفوس جلوداً أثيرية يوم القيامة فتكون النفوس كالملائكة فهذه هي الحياة التي ذكرها الله تعالى بقوله (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) وليس المراد بها إحياء الأجسام الميتة ، ومثال على ذلك كالأواني المصنوعة من الخارصين والنحاس فإنّها تكتسي غشاءً من الأوكسيد وذلك باتّحاد الأوكسجين مع المعدن فيكون فوقها طبقة معتمة هي أوكسيد الخارصين ، فكذلك النفوس يلبسها جلوداً أثيرية لا أجساماً مادية .

سؤال ١٨ : فما معنى قوله تعالى في سورة النساء {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} ؟

جواب : إنّ الجلود غير الأبدان ، فالجلود يريد بها الجلود الأثيرية التي للنفوس فهي كالثوب الذي يلبسه الإنسان ، وأمّا الأبدان فهي المادية ، والدليل على ذلك قوله تعالى في قصة فرعون [في سورة يوسف] {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} فإنّ الله تعالى سمّاها أبداناً ، وأما الجلود فيريد بها الجلود الأثيرية التي للنفوس لأنّ الله تعالى لم يقل بدّلناهم أبداناً غيرها ليذوقوا العذاب ، بل قال{ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} ،

والدليل على ذلك قوله {نَضِجَتْ} فلو قصد بذلك الأبدان المادية لقال : كلّما احترقت أبدانهم بدّلناهم أبداناً غيرها ، لأنّ الأبدان المادية إذا أصابتها نار الدنيا تحترق وتكون فحماً ، فكيف بنار جهنم على أنها لا تحرق بل تنضج ، والنضج أقل من الاحتراق فهو الطهي ، وفي ذلك قال أمرؤ القيس :

فظلّ طهاةُ اللحمِ من بينِ مُنضجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيْرٍ مُعَجَّلِ

فالناضج هو المطبوخ الذي يصلح للأكل ، وفي ذلك قالَ شبيب:

وإنِّي لأَغْلِي اللَّحْمَ نَيئاً وإنَّني لَمِمَّنْ يُهينُ اللَّحْمَ وهْو نَضِيجُ

سؤال ١٩ : تقول أنّ النفوس تحشر وتحاسب ولا حاجة للأجسام ، وقد قال تعالى في سورة يس {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} ، أليست المراقد هي القبور ؟

؟ ، أليست الأجداث هي القبور وقال تعالى أيضاً {فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}

جواب : (المرقد) هو المكان الذي يرقدون فيه سواء قبراً كان أم كهفاً أم مكاناً آخر ، وفي المنجد يقال : (رقد الحَر) أي سكن و(رقد عن الأمر) أي غفل عنه و(أرقد بالمكان) أي أقام به . أما (الجَدَث) فهو كل مكان ضيّق وفيه إنسان يسمى جدث ، فالقبر جدث والكهف جدث وغير ذلك من الأمكنة الضيّقة . وقد قلنا في كتابنا الكون والقرآن بأنّ الأرض ستقف عن دورتها المحورية ويكون الليل في جهة منها والنهار في الجهة الأخرى إلى يوم القيامة ، فالجهة التي يكون فيها النهار تكون شديدة الحرارة والجهة الأخرى تكون شديدة البرودة ، فالأرواح في ذلك الوقت تختفي في باطن الأرض تجنباً عن الحر والبرد فتسكن القبور والكهوف والسراديب وغير ذلك ولا تخرج حتّى يوم القيامة فحينئذٍ تتمزّق الأرض فتخرج النفوس من الأرض وتصعد إلى الفضاء ، ولذلك قال تعالى {فَإِذَاهُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} يعني يصعدون إليه للحساب والجزاء ، وهؤلاء هم الكفّار والمذنبون ، أما الصالحون فيرتفعون إلى الجنان من أوّل ساعة تقف فيها الأرض عن دورتها المحورية لأنّ العذاب يحلّ بأهل الأرض في ذلك اليوم ، وقد قال الله تعالى في سورة المعارج {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} فالملائكة الموكلون بالناس لكتابة أعمالهم يصعدون إلى السماء في ذلك اليوم ولا يبقى أحد منهم على الأرض ، وقوله {وَالرُّوحُ} يعني الأرواح الصالحة التقية تعرج أيضاً إلى السماء ، فيبقى في الأرض الكافرون والمشركون والمنافقون ولذلك يقولون {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} فانظر وتأمّل إلى الآيات الكريمة فإنّ الله تعالى لم يذكر في القبور حياة جديدة بل جاء ذكرها للتهديم والتبعثر ، فقد قال تعالى في سورة

الانفطار {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} أي تهدّمت ، وقال تعالى في سورة العاديات {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ} يعني الأجسام التي في القبور تتبعثر وتتمزّق حيث لا حاجة فيها. ...

حادثة تاريخية

جهنم

إعلم أنّ جهنّم هي الشمس وطبقاتها الغازية ، والشمس لها جاذبية تجذب النفوس إليها يوم القيامة ولا يفلت منها أحد إلا من أراد الله نجاته منها بعث لهُ بعض الملائكة فأخرجته من جهنّم وقادته إلى الجنة .
فالنفوس الشرّيرة يكون عذابها حول الشمس أي في الطبقات الغازية التي للشمس وحرّها وسمومها ،

وقد ورد في كتاب البحار ((إنّ لجهنّم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم مقدار عظمها إلاّ الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يجندل ثمّ ينجو)) أقول إنّ الكلاليب يريد بها الجاذبية ولكن لَمّا كانت الناس لا تعرف الجاذبية عبّر عنها بالكلاليب ، ومعناه إنّ لجهنّم جاذبية تجذب النفوس إليها فمنهم من يبقى فيها معذّباً بعمله ومنهم من ينجو بعد ذلك .

قال الله تعالى في سورة النبأ {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلْطَّاغِينَ مَآبًا . لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} فالمرصاد يعني محل رصد للنفوس فهي ترصدهم وتجذبهم إليها .

وقال تعالى في سورة مريم {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} فقوله تعالى {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} يعني ولا شخص منكم إلاّ ويرد جهنّم لأنها تجذبهم إليها ثم يبعث الله ملائكته فيلتقطون المؤمنين ويتركون الكافرين .

وقال تعالى في سورة آل عمران {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} فقوله تعالى {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ

فَازَ} دليل على أنّ الناس كلهم يدخلون النار ثمّ يتزحزح عنها المتقون ويدخلون الجنة ، أما الكافرون فلا يتزحزحون عنها بل يبقون فيها معذّبين .

وقال تعالى في سورة الأسراء {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} فالوجه يريد به الجهة ، والمعنى ونحشرهم يوم القيامة متّجهين نحو جهنّم عمياً عن طريق الجنة وبكماً وصمّاً لِما يصيبهم من العذاب{مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} لأنها تجذبهم إليها .

وقال تعالى في سورة الفرقان {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} ، فقوله تعالى {عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ} يعني يحشرون متّجهين إلى جهنّم .

وقال تعالى في سورة الكهف {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا} والمعنى أنّها تكون أمامهم وفي طريقهم .

وقال تعالى في سورة مريم {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} فانظر إنّ الله تعالى قال {لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ} ولم يقل لندخلنّهم في جهنّم ، وذلك لأنّهم يكونون في الطبقات الغازية التي حول جهنّم ، يعني يحومون حول الشمس ولا يمكنهم أن يتخلّصوا منها لأنّها تجذبهم إليها .

وقال تعالى في سورة الحج {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} والمعنى أنّهم يكونون كالغرقى يحومون حولها ولا يمكنهم أن يتخلّصوا منها .

وقال تعالى في سورة المؤمنين {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} فقوله تعالى {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ} يعني تلفح النار جهتهم التي تكون مقابلة للشمس لأنّهم يحومون حولها .

وقال تعالى في سورة أسرى{عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} يعني تحصرهم وتجذبهم فلا تدعهم يبتعدون عنها .

وقال تعالى في سورة إبراهيم {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} فالنار تغشى وجوههم لأنّهم يحومون حولها ، وقوله {مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ} يعني مقيّدين في أصفاد الجاذبية .

وقال تعالى في سورة العنكبوت {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} والمعنى أن غازاتها تحيط بهم فلا يمكنهم التخلّص منها .

وقال تعالى في سورة السجدة {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} يعني أنهم كالغرقى يحومون حولها ولا يمكنهم أن يتخلّصوا منها.

وقال تعالى في سورة شورى {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ}

وقال تعالى في سورة الأحقاف {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا}

وقال تعالى في سورة الرحمن {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} ، يعني يطوفون بينها وبين طبقاتها الغازية .

وقال تعالى في سورة الواقعة {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ. فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ . لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} فالسموم يريد بها سموم الشمس ، والحميم طبقاتها الغازية ، وظل من يحموم دخانها ،

وقال تعالى في سورة المدثر {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ} أي لا تبقي أحداً في الفضاء من النفوس إلاّ جذبته إليها .

وقال تعالى في سورة النساء {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً . إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا} يعني لا يرشدهم إلى طريق الجنّة ولكن يرشدهم إلى طريق جهنم لأنها تجذبهم إليها . والخلاصة أن جهنّمهي ألشمس ، والشمس لها جاذبية تجذب النفوس إليها والعذاب يكون للنفوس لا للأجسام ،

قال الله تعالى في سورة الملائكة {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} فلو كان الإنسان يدخل النار بجسمه المادّي فكيف لايموت وهي نار جهنم وإنّ أقلّ نار من نار الدنيا تميت الإنسان ، ولكن لما كان العذاب للنفوس جاز أن يقول :{لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ} ، لأنّهم نفوس والنفوس لا تموت ولو في النار .

وقال تعالى في سورة إبراهيم {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ}

وقال عزّ من قائل في سورة طه {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} .

تعريف

روي في كتاب البحار قال))يأتي زمان على جهنم ينبت فيها الشلجم)) ، أقول إنّ الشمس إذا برد وجهها وصارت كواكب سيّارة لاشك أنه يكون عليها نبات.

وجاء في الصحيحين قال النبي (ع) ((لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتّى يضع ربّ العزّة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض)) . فقوله ((حتى يضع فيها قدمه)) أي حتّى يمضي عليها زمن طويل وتكون

قديمة العهد فحينئذٍ ينزوي بعضها إلى بعض ، يعني تتقلّص فيصغر حجمها وتعليل ذلك أنّ الشمس إذا انتهت حياتها فإنّها تتقلّص ويبرد وجهها ويكون لها قشرة أرضية ، ثمّ تنفجر وتكون كواكب سيّارة أي تكون أراضي وقد سبق تعليل ذلك في كتابنا (الكون والقرآن) .

الموقف والحساب

قلنا فيما سبق أنّ المحشر يكون في الفضاء الذي فيه الشمس والكواكب السيارة أي في فضاء المجموعة الشمسية التي تتمزّق في ذلك اليوم ، وهناك تكون الغازات المنبعثة من الشمس ، فحينئذٍ يصرخ إسرافيل بالناس ويقول : (هلمّوا يا عباد الله إلى الحساب والجزاء) ، فتلبّيه الناس وتجتمع عنده ، فحينئذٍ ينزل جبرائيل ومعه الملائكة من السماوات الأثيرية ، فتصطفّ الملائكة صفوفاً ويقف جبرائيل أمامهم وتجتمع عنده الأنبياء والأولياء وهناك تكون المحاكمة والحساب ، والحساب يكون للموحّدين الصالحين ، أما الكافرون والمشركون فلا حساب عليهم لأنّه لا يدخل أحد الجنة إلاّ بعد المحاكمة والحساب ، وأوّل من يُحاسَب هم الأنبياء فإنّ الله تعالى يحاسبهم بنفسه فإذا انتهى حسابهم أمرهم الله تعالى أن يحاسبوا المؤمنين ويبعثوهم إلى الجنة ، فحينئذٍ تأتي الأنبياء والملائكة الذين كانوا مع الناس في دار الدنيا يكتبون أعمالهم وهم (رقيب عتيد) فيحاسبون المؤمنين الموحدين ، فالأنبياء تحاكمهم وتحاسبهم والملائكة تشهد عليهم بِما فعلوه في دار الدنيا فمَن ينتهي حسابه تأخذه الملائكة إلى الجنة .

فيبقى المذنبون من الموحدين في المحشر ، فحينئذٍ يسأل الأنبياء والأولياء والملائكة الشفاعة فيأذن الله لمن يشاء فيمن يشاء من الموحدين فيأخذوهم إلى الجنة ويبقى الكافرون والمشركون في المحشر فيقولون للملائكة ألا تأخذونا معكم إلى الجنة وتخلّصونا من العذاب ، فتقول لهم الملائكة إنكم كذّبتم الرسل وكفرتم بربّكم وفعلتم كذا وكذا في دار الدنيا فَ{الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا} [كما في سورة الجاثية] ، ثمّ تجذبهم سقر إليها فيبقون حولها معذَّبين .

قال الله تعالى في سورة الأنبياء {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } ، فالموازين هي القوانين التي فيها الأحكام الشرعية ، وذلك كقوله تعالى في سورة الشورى {اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ..إلخ} فالموازين التي نزن بِها الفواكه وغيرها لم تنزل من السماء طبعاً . إذاً الموازين يريد بِها الأحكام الشرعية والقوانين العرفية .

وقال تعالى في سورة الحديد {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..إلخ} فالميزان يريد بِها الأحكام والقوانين ، وفي ذلك قال عبيد بن الأبرص :

ما الحاكمونَ بِلا سمعٍ ولا بصرِ ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجِبُ الناسا

فأجاب امرؤ القيس :

تِلكَ الموازينُ والرحمانُ أنزلَها ربّ البريّةِ بينَ الناسِ مقياسا

وقال الشاعر :

قومٌ إذا استُخصِمُوا كانوا فراعنةً يوماً وإن حُكِّمُوا كانوا مَوازينا

وقال حسّان :

ويثربُ تَعلمُ أنّا بِها إذا الْتَبَسَ الأمرُ ميزانُها

وقال تعالى في سورة الكهف {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} ، يعني فلا نقيم لهم محاكمة كي يخرجوا من جهنّم بل يبقون فيها معذّبين .

وقال تعالى في سورة المؤمنون {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} ، ومعناه فمن طالت محاكمته فأولئك هم المفلحون ومن قصرت محاكمته فأولئك الذين خسروا أنفسهم ..إلخ لأنّه لا يدخل الإنسان الجنة إلاّ بعد المحاكمة والحساب ، فالكافرون لا يُحاكَمون لأنّهم لا يدخلون الجنة ، ومثال ذلك الموقوفون عندنا في دار الدنيا فإنّهم لا يطلق منهم أحد إلاّ بعد المحاكمة ،

قال الله تعالى في سورة سبأ {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} ،

وقال تعالى في سورة القارعة {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} يعني فمأواه الهاوية والهاوية هي جهنّم .

وقال تعالى في سورة الأعراف {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} فالوزن يريد به المحاكمة .

وقال تعالى في سورة الزمر {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} .

[الصيحة]

وأما ما جاء في الصيحة قوله تعالى في سورة يس {إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} ، فالصيحة هي صيحة إسرافيل ، وقوله {لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} يعني في الفضاء .

وقال تعالى في سورة طه {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} ، فالداعي هو إسرافيل .

وقال تعالى في سورة ق {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ . يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} ، فالمنادي هو إسرافيل ، وقوله {ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} أي تخرجون من الأرض إلى الفضاء .

وقال تعالى في سورة القمر {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} .

[جبريل والملائكة في ذلك الموقف]

وأمّا ما جاء في جبريل والملائكة قوله تعالى في سورة النبأ {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} ، فالروح هو جبريل ، وقوله {لَّا يَتَكَلَّمُونَ} يعني لا يتكلّمون بالشفاعة إلاّ من أذن له الرحمان بذلك {وَقَالَ صَوَابًا} يعني وأصاب الحقّ بشفاعته ، فينبغي أن يتشفّع بالموحّدين فتُقبَل شفاعته ، وأما إذا تشفّع بالكافرين أو المشركين فلا تقبل شفاعته .

وقال تعالى في سورة الفجر {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} ،وأصلها {وجيء ربّك} يعني وجاءت النفوس إلى ربّك وهناك الملائكة واقفون صفاً صفاً .

وقال تعالى في سورة الأنبياء {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ،

وقال تعالى في سورة الفرقان {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا} يعني تنزل من السماوات الأثيرية إلى المحشر .

وقال تعالى في سورة فصلت {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} .

[محاكمة الأنبياء والرسل]

وأمّا ما جاء في محاكمة الأنبياء والرسل قوله تعالى في سورة المائدة {يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} .

سؤال ٢٠ : قال الله تعالى في سورة الرحمن {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ . يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} ، وقال عزّ مِن قائل في سورة الحجر {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ، فما هذا الاختلاف فتارة يقول {لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ} وتارة يقول{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ؟

الجواب : أما قوله تعالى{لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ} هذه خاصة بالكافرين والمجرمين فإنّهم لا يُحاكَمون ولا يسئل منهم عن عمل عملوه بل يدخلون جهنّم بلا محاكمة ، ولذلك قال بعدها {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} . وأما قوله تعالى{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} هذا سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال محاكمة وهذا السؤال يكون في جهنّم لا في المحشر ، وذلك كما يُسأل المسجون عن سبب سجنه فيقول عملتُ كذا وكذا من الجرائم . فالكافرون لا يُسئلون في المحشر سؤال محاكمة بل يُسئلون في جهنّم سؤال تقريع وتوبيخ وذلك كقوله تعالى في سورة الأحقاف {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} .

وقال تعالى في سورة الملك {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ}

الجنان

إنّ الجنان التي ندخلها يوم القيامة هي أثيرية وليست بِمادية لأن التي تدخلها هي النفوس لا الأجسام ، وموقعها في الفضاء ، وهي سبعٌ فإذا صار يوم القيامة تكون ثمانية ، وقد سبق الكلام عنها في كتابنا (الكون والقرآن) بعنوان (السماوات الأثيرية) ، وهنّ الحاملات للعرش وهنّ الملقّبات بالكرسي ، فقد جاء في مجموعة التوراة في صحف إشعيا النبيّ في الإصحاح السادس والستين قال : ((هكذا قال الربّ : السماوات كرسيّ والأرض موطئ قدمي)) ، فالسماوات هنا يريد بِها الطبقات الأثيرية .

والجنان الأثيرية باقية لا تفنى ولا تزول إلى الأبد ولا يعتريها عارض ، والجنان لا يعلم الناس موقعها ليدخلوها ولكنّ الله تعالى يرسل ملائكته فيرشدون المؤمنين إليها .

قال الله تعالى في سورة الأعراف {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فقوله تعالى {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} يعني يقولون إذا دخلوا الجنة : الحمد لله الذي أرشدنا إلى طريق الجنة فدخلناها وما كنّا لنهتدي إلى طريقها لولا أن هدانا الله إليها .

وقال تعالى في سورة الفاتحة {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} يعني أرشدنا إلى الطريق المستقيم الذي يوصلنا إلى الجنة ، ولذلك قال بعدها {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} ، فالذين أنعم عليهم هم أهل الجنة ، وذلك كقوله تعالى في سورة النساء {فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} .

وقال تعالى في سورة يونس {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} ، فقوله تعالى {يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} يعني يهديهم إلى طريق الجنة بسبب إيمانهم بالله وتصديقهم بمحمّد (ع) .

وقال تعالى في سورة الإنسان {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} أقول كيف يعيش الإنسان بلا شمس وهي حياة الإنسان ولكن النفوس هي التي تدخل الجنة دون الأجسام فلذلك قال سبحانه {لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} وذلك لأنّ النفوس تتأذّى من شعاع الشمس وحرّها وكثرة ضيائها ، والمعنى لا يرون في الجنّة شمساً ولا قمراً ولا يصيبهم فيها حرٌّ ولا برد ، فالقمر بلغة طي يسمّى " زَمْهَرِيرًا " ، وفي ذلك قال شاعرهم :

وليلةٍ ظلامُها قدِ اعْتَكَرْ قَطَعتُها والزمهريرُ ما زَهَرْ

وإنما كانوا يسمّون القمر زمهريراً لأنّهم كانوا يظنّون أنّ البرد يأتي من القمر كما أنّ الحرّ يأتي من الشمس .

وقال تعالى في سورة البقرة {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} فقوله تعالى {هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ}يعني الذي رُزِقوا به في الدنيا وجدوه أمامهم في الجنة ، لأنّ كلّ ثمرة لها روح فإنّهم أكلوا المادّيات في دار الدنيا فوجدوا الأثيريات في الجنة فقالوا {هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} ، وأمّا قوله تعالى {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} يعني مطهّرة من الحيض والبول والغائط لأنّها أثيرية .

وقال تعالى في سورة الرعد {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} فقوله تعالى {أُكُلُهَا دَآئِمٌ} يعني ثمرتها موجودة دائماً فهي لا تفسد ولا تنفد لأنّها أثيرية .

وقال تعالى في سورة مريم {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا} فلماذا يقول {نُورِثُ} لأنّ الأشجار التي كانت للكافرين في دار الدنيا يعطيها الله للمؤمنين في الآخرة فتكون إرثاً لهم ، وذلك لأنّ الأشجار لها أرواح كما للناس نفوس .

وقال تعالى في سورة المؤمنون {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} يعني يرثون ما كان للكافرين في دار الدنيا وهو الأثيري منه لا المادّي .

وقال تعالى في سورة الزخرف {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ} .

وقال تعالى في سورة الصافات {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} فلماذا لا يموتون ؟ لأنهم أثيريون .

وقال تعالى في سورة الدخان {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}

وقال عزّ مِن قائل في سورة محمد {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ..إلخ} فقوله تعالى {لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} لأنه أثيري فلو كان مادّياً لتغيّر طعمه .

والخلاصة إنّ الجنة أثيرية وأشجارها أثيرية وسكانها أثيريون وحورها بنات أهل الدنيا وولدانها أولاد أهل الدنيا أي نفوسهم الأثيرية ، فأولاد الكافرين الذين يموتون قبل بلوغ الرشد يكونون خدماً لأهل الجنة وكذلك البنات ، وأما بنات المؤمنين فهنّ الحور يتزوّج بهنّ أهل الجنة ، وأمّا أطفال المؤمنين كلٌّ منهم يبقى عند أبويه في الجنة يأنسون بهم ويلاعبونهم ، وذلك لأنّ نفوس الأطفال لا تكبر بعد انفصالها من الأجسام بل تبقى على ما كانت عليه وقت مماتها . قال الله تعالى في سورة الزخرف {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} يعني أزواجهم التي كانت معهم في دار الدنيا . وقال تعالى في سورة الطور {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ} يعني من أولاد أهل الدنيا يكونون غلماناً لأهل الجنة .

والخلاصة أنّ موقع الجنان في السماء لا في الأرض وهنّ أثيريات لا مادّيات ، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} فبيّن سبحانه أنّ الجنة لا يدخلها أحد إلاّ بعد أن تفتح له أبواب السماء ، والسماء هنا يريد بها الطبقات الغازية .

وقال تعالى في سورة القمر {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} يعني عنده في السماء .

وقال تعالى في سورة الحاقة {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} يعني في الفضاء .

وقال تعالى في سورة القلم {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } يعني عنده في السماء . وقال تعالى في سورة الرعد {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ..إلخ} فقوله تعالى {أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا} دليل على أنّها ليست في أحد الكواكب السيارة ، فلو كانت الجنة أرضاً كأرضنا لكان الظلّ منتقلاً عليها ولم يكن دائماً ، ولو فرضنا أنّ ذلك يكون حين وقوف الأرض عن دورتها المحورية فيكون الظلّ فيها دائماً غير متنقّل إذاً لأصبحت جحيماً وليست بنعيم وذلك في الجهة التي تكون مقابلة للشمس ، وأمّا الجهة التي تكون بعكس الشمس فإنّها تصبح زمهريراً لشدّة البرد فيها ، إذاً الجنة لا تكون على أرضٍ من الأراضي بل هي في السماء .

الأشجار في الجنة

قلنا فيما سبق أنّ النباتات والأشجار والأثمار لَها أرواح كما للإنسان والحيوان أرواح ، فإذا قُطِعت شجرة من الأشجار في دار الدنيا وماتت فإنّ روحها لا تموت بل تبقى حية على مدى السنين والدهور ، وهي غضّة مثمرة كثيرة الأغصان مملوءة بالأثمار ، لا تتساقط أوراقها ولا تنفد أثمارها ، لا تحتاج إلى سماد ولا ماء ولا يميتها برد ولا داء ، فهذه الأشجار الأثيرية تنتقل إلى عالم الأثير ، فكلّ شجرة طيّبة تذهب بِها الملائكة إلى السماء فتكون من أشجار الجنة ، وهي التي يكون ثمرها طيّباً أو رائحتها زكية كأشجار الورد والرياحين ، فيتمتّع بِها أهل الجنة ويأكلون من ثمارها ويجلسون في ظلّها ويأنسون بمنظرها . قال الله تعالى في سورة إبراهيم {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء} فقوله تعالى {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} يعني أصلها ثابت في الأرض ، ويريد بذلك الشجرة المادّية لأنّها باقية في الأرض يتفرّع منها أشجار كثيرة ، وذلك بواسطة التقليم منها أو النواة {وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء} يعني ما يتفرّع منها من أشجار أثيرية تذهب إلى السماء فتكون من أشجار الجنة . ومن الأشجار الطيّبة السدرة وهي شجرة النبق فهي باقية في الأرض إلى اليوم وذهب فرعها إلى السماء فأصبحت من أشجار الجنة ، وقد رآها النبي (ع) ليلة المعراج ، وجاء ذكرها في القرآن وذلك قوله تعالى في سورة النجم {عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} وجاء ذكر السدر أيضاً في سورة الواقعة قال تعالى {فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ} ، وأما قوله تعالى {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ} يعني أنّ الأشجار الأثيرية الطيّبة تؤتيك الثمر على الدوام فليس له وقت محدود ، فكلمة ((أُكُلَهَا)) يعني ما يؤكل منها وهو الثمر ، وذلك قوله تعالى في سورة الرعد {أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا} يعني فاكهتها موجودة على الدوام . أمّا السدرة المادّية التي على الأرض فهي تثمر في السنة مرّتين مرّة في الربيع وأخرى في الخريف .

ويكون طول الشجرة الأثيرية وسعتها على قدر ما عاشت في دار الدنيا ، فكلّما عاشت أكثر تكون الشجرة الأثيرية أطول وأوسع وأكثر أغصاناً وأثماراً ، مثلاً إنّ النخلة إذا حملت في الدنيا خمس مرّات فإنّ النخلة الأثيرية يكون فيها خمسة صفوف من عذوق التمر ، وإذا حملت عشر مرّات فإنّ النخلة الأثيرية يكون فيها عشرة صفوف من عذوق التمر ، وهكذا كلّما عاشت النخلة المادّية أكثر فإنّ النخلة الأثيرية يكون حملها أكثر ، فإذا ذهبت إلى عالم الأثير فإنّك ترى النخلة الأثيرية ملآنة بالتمر من أسفلها إلى أعلاها ، ولذلك قال الله تعالى سورة الحاقة {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} يعني أثمارها قريبة التناول ، لأنّ الذي في قصره نخلة يقطف تمراً من أسفلها إنْ كان هو في أسفل القصر ، وإنْ كان في الطبقة الثانية من قصره فهو يقطف تمراً من وسطها ، وإنْ كان في أعلى قصره فهو يقطف التمر من أعلاها ، وهكذا فهو أينما كان من قصره فالثمار دانية منه . ثانياً إنّ النفس يمكنها أن تطير بلا جناح وتصعد إلى السطح بلا سلّم وتنزل إلى أسفل كما ينزل الطائر وبذلك أصبحت النفوس قادرة على تسلّق الأشجار واقتطاف الأثمار منها بسهولة بل يمكنها الوقوف على أعالي الأشجار كما تقف الطيور . و الأشجار الأثيرية لا تثمر من من جديد كما تثمر أشجارنا التي في دار الدنيا بل تحمل ثمرتها القديمة التي حملتها في دار الدنيا وتبقى تلك الثمار فيها لا تفسد ولا تنفد مدى الدهور ، قال الله تعالى في سورة الواقعة{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ . وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ . وَمَاء مَّسْكُوبٍ . وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} فقوله تعالى {لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} يعني لا تنتهي تلك الفاكهة من الشجرة وتنفد ولا يمنعهم أحد من أخذها فهي ملكهم وتحت تصرّفهم إلى الأبد .

والأكل في عالم الأثير لا يكون غذاءً للأجسام بل يكون لمجرّد التذوّق والتلذّذ . فالإنسان مهما أكل وشرب فلا تكون معه تخمة لأنّ الأكل يخرج من مسامات جسمه بعد ساعة على هيئة عرق ويعود كما كان أولاً ، ولذلك لا يبولون ولا يتغوّطون ، فالفاكهة التي تأكلها النفوس في عالم الأثير تخرج من مسامات أجسامها وتكون فاكهة كما كانت أولاً ثمّ تعود إلى شجرتها ، والطير الذي تأكله النفوس يخرج من مسامات أجسامها ويكون طيراً كما كان أولاً ويعود إلى وكره ، والسمكة التي تأكلها النفوس تخرج بعد ساعة من مسامات أجسامها وتعود إلى النهر ، فالأكل والشرب لا يكون عندهم لتغذية الأجسام كما عندنا في الدنيا بل يكون للتذوّق والتلذّذ ومهما أكلوا لا يكون معهم تخمة ولذلك قال الله تعالى في سورة المرسلات {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ . وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وذلك لأنّهم أثيريون وأكلهم أثيري فلا تكون معهم تخمة مهما أكلوا وشربوا . وقال تعالى في سورة الحاقة {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} فهنا أيضاً قال تعالى {كُلُوا وَاشْرَبُوا} ولم يجعل حداً لذلك لأنه أثيري والأثير لا يعمل تخمة للإنسان . أما الأكل والشرب في دار الدنيا فقد جعل له حداً فقال تعالى سورة الأعراف {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} وذلك لأنّ الإكثار من الأكل والشرب يسبّب المرض وفي ذلك قال الشاعر :

ثلاثٌ هنّ مهلكة الأنامِ وداعية الصحيح إلى السقامِ

دوامُ مدامةٍ ودوامُ وَطءٍ وإدخالُ الطعامِ على الطعامِ

وإليك تصويراً خيالياً لنخلةٍ أثيرية حملت خمس سنين في دار الدنيا .



((نخلة أثيرية حملت خمس سنين في دار الدنيا))فبقي حملها فيها

أمّا الكلمة الطيّبة فهي ذكر الله بالثناء له والدفاع عنه ، أمّا ذكره بالثناء فهو كالتهليل والتكبير والحمد والشكر له ، وأمّا الدفاع عنه فهو بأن تردع شخصاً يتذمّر من الله فتردّ عليه كلامه وتوبّخه ، وإذا سمعت شخصاً يكفر بالله فعليك أن تردعه وتضربه لكي لا يتلفّظ بعد ذلك بهذه الكلمات ، وإذا لم تتمكّن من ضربه وردعه فيمكنك أن تحرّض الناس على

إهانته وردعه ، وإذا لم تتمكّن من ذلك فيمكنك أن تخبر دائرة الشرطة بذلك فيجلبوه للمحاكمة فيردعه الحاكم ويسجنه ، ولا تقل إنّ هذا الأمر لا يعنيني ، بل يعنيك ويعني كلّ شخص يسمع بأذنه ، فيجب عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فإذا لم تنهَ قوماً عن منكرهم وأنت ترى ذلك بعينك فقد شاركتهم في عملهم ، وإذا لم تردع شخصاً كافراً فقد شاركته في كفره ، فإنّ الله تعالى ذمّ قوماً من بني إسرائيل فقال في سورة المائدة {كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} فيجب عليك أن تدافع عن الله كما يدافع الله عنك ، قال تعالى في سورة الحج {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} . فردع الكافر عن كفره هي الكلمة الطيّبة التي تتلفّظ بها فإنّ الملائكة تصعد بها إلى السماء وتكتبها في اللوح المحفوظ فهي باقية إلى الأبد وكلّما مرّ أحد من الملائكة من هناك قرأها فيذاع لك صيت حسن في السماء ويقال هذا الذي دافع عن الله ، قال الله تعالى في سورة فاطر {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} فهذا هو الكلم الطيّب ، وقال تعالى في سورة المطففين {كِتَابٌ مَّرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} يعني تشاهده الملائكة المقرّبون ، والكلمة الطيّبة تثمر لصاحبها بالخير كما تثمر الشجرة بالفاكهة ، فهذا معنى قوله تعالى {كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ}

الأشجار الخبيثة

الأشجار الخبيثة هي التي يكون فيها شوك وليس فيها ثمر يؤكل ، أو تكون رائحتها كريهة ، أو لا تظلّ من يجلس تحتها مع أنّها ذات شوك ، فمثل هذه الأشجار لا تصعد الملائكة بأرواحها إلى السماء بل تبقى على الأرض ، فإذا هاجت رياح اقتلعتها من مكانها ودفعتها حيث تسير فتتحطّم وتسقط على الأرض متنقلة من مكان إلى مكان حيث تنقلها الرياح فلا يقرّ لها قرار ، فترى غصناً هنا وآخر هناك ، وشجرة خلف هذا الجدار وأخرى خلف ذاك الستار وأخرى بين الجبال حيث تحميها من الرياح .

فقد قال تعالى في سورة إبراهيم {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ} ، فقوله تعالى {اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ } يعني قُلِعت ، لأنّ الرياح تقلعها من أصولها ، وهي الأشجار الخبيثة الأثيرية.

أما المادية منها فقد قلعها أبونا آدم بعدما أكل منها وكانت سبباً في معصيته ونزوله من الجنة التي كانت فوق جبل فنزل منها إلى الأرض المنبسطة ، وهي شجرة توت العلّيق . وقوله {مَا لَهَا مِن قَرَارٍ} أي تنتقل من مكان إلى مكان آخر ، لأن الرياح تنقلها وتلقي بِها في المنخفضات وبين الجبال.

وقد وجد بعض المصورين في افلامهم صور أشجار أو أغصان قدالتقطتها آلاتهم المصورة صدفة بدون علمٍ منهم ، وذلك في أماكن ليس فيها أشجار . ويكون ذلك إن كان الضوء المُعطى للصورة قليلاً جداً فيخرج الفلم فارغاً ليس فيه صورة للإنسان الذي كان أمام الآلة بل يجد صورة شجرة أو غصن من أغصان شجرة رغم أنّ المكان ليس فيه أشجار 1 ولكن لم يعلم سبب ذلك ولم يفهم أنّ هناك أشجاراً أثيرية لا تراها الأحياء المادية بل تلتقطها آلاتهم المصورة صدفةً رغم إنكار بعض الناس للأشجار الأثيرية.

وإليك صورة غصن التقطته آلة بعض المصورين في الحلة وذلك في غرفة من غرف الدار.

صورة غصنٍ لشجرة أثيرية

[ملاحظة : أعطاني المفسّر رحمه الله هذه الصورة الفونوغرافية لغصن أثيري ثم استرجعها عندما أراد أن يطبع الطبعة الجديدة من كتاب الإنسان بعد الموت ، والآن هذه الصورة ليست عندي.]

1وذلك لأنّ الأشجار الأثيرية لها شعاع فإن كان المكان الذي التُقِطَت فيه الصورة أظلم أو قليل الضياء فإنّ شعاع الشجرة الأثيرية يغلب على الظلام فتلتقطه آلة التصوير إن كان في ذلك المكان غضنٌ أثيري.

بيان

[أهل الجنة لا ينامون ولا يبولون ولا يتغوّطون]

روي أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي سأل علي بن الحسين عن أهل الجنة : أصحيح أنهم لا ينامون ولا يبولون ولا يتغوّطون ؟ قال : نعم ، قال آتني نظيره في الدنيا . قال : إنّ الجنين في بطن أمّه يأكل مِمّا أمّه ويشرب ولكن لا يبول ولا يتغوّط .

[الجنة الأثيرية وليدة الأرض المادية]

سؤال ٢١ : أنت تقول أنّ الجنة أثيرية غير مادية ، إذاً فما معنى قوله تعالى في سورة الزمر{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} فلو كانت الجنة في السماء وهي أثيرية ، إذاً فما معنى قوله تعالى {وَأَوْرَثَنَاالْأَرْضَ} ؟

جواب : قلنا فيما سبق أنّ الأشجار والنبات والأثمار والحيوان كلّ ذلك لَها أرواح كما للإنسان نفس ، فإذا ماتت الشجرة فإنّ روحها تذهب إلى عالم الأثير فتكون هناك شجرة ويكون فيها ثمر كما كانت في الدنيا ، ولكن الثمر هناك لا يفسد ولا ينفد لأنّه أثيري ، فالجنة إذاً هي وليدة الأرض ، فقوله تعالى {وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ} يعني وأورثنا ما نتج من الأرض أي ما خلّفته الأرض ، وذلك كقوله تعالى في سورة المؤمنون {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} يعني يرثون ما كان للمشركين في دار الدنيا من أشجار وأثمار وقصور وغير ذلك فيكون للمؤمنين إرثاً لهم في الآخرة .

[الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض]

سؤال ٢٢: فما معنى قوله تعالى في سورة الحديد {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ .. إلخ} ؟

الجواب : يعني سعتها كسعة الكواكب السيارة مع انتشارهنّ في الفضاء ، وهذا نظير قوله تعالى في سورة آل عمران {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} ، فالسماوات يريد بها الكواكب السيارة ، والمعنى سعتها كسعة السيّارات مع سعة انتشارهنّ في الفضاء ، فكلمة عرضها يعني سعتها ، كما قال الشاعر :

بِلادٌ عريضةٌ وأرضٌ أريضةٌ مدافع غيثٍ في فضاءٍ عريضِ

وقال تعالى أيضاً في سورة البقرة {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} فالجنان الأثيرية هي الكرسي ، والمعنى أنّ الكرسي سعته كسعة الكواكب السيارة مع سعة انتشارهنّ في الفضاء .

[صعود المسيح إلى السماء]

سؤال ٢٣ : إذا كانت السماوات أثيرية ، إذاً كيف صعد المسيح إلى السماء ؟

جواب : إنّ نفسه الأثيرية صعدت إلى السماء وأمّا جسمه فبقي على الأرض ، وتعليل ذلك أنّ اليهود لَمّا أرادوا قتل المسيح ، جعل الله رجلاً شبيهاً بالمسيح فأمسكوه وصلبوه ، وأمّا المسيح فقد أفلت منهم وذهب إلى ربوة ثمّ لحقته أمه وبقيا في تلك الربوة يتعبّدان لله تعالى ، ثمّ مات المسيح بعد مدّة في تلك الربوة فارتفعت نفسه الأثيرية إلى السماء ودُفِن جسمه في تلك الربوة * والشاهد على ذلك قول الله تعالى في سورة المؤمنون {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} .

والشاهد على أنّ المسيح مات هو قول الله تعالى في سورة المائدة وهو يخاطب نفس المسيح وهو في السماء فقال له {يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} إلى أن يقول {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ، فقول المسيح : فلمّا توفّيتني معناه فلمّا أمتّني . وقال الله تعالى أيضاً مخاطباً المسيح قبل وفاته وذلك في سورة آل عمران {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ..إلخ} والمعنى : سأميتك وأرفع روحك إليّ ، فالوفاة معناها الموت ، والشاهد على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم ..إلخ} والمعنى يجب على الذين يموتون منكم أن يوصوا بأزاجهم بأنّ لهنّ متاعاً إلى الحول .

وأمّا الشاهد على أنّ المسيح لم يُصلَب بل صُلِب شبيهه ، رؤية تلاميذه له بعد الصلب بثلاثة أيام فكلّموه وكلّمهم ، وقد ذُكِر هذا في إنجيل متي قال في الإصحاح الثاني والعشرين ((وأمّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع ، ولَمّا رأوه سجدوا له ولكنّ بعضهم شكّوا)) . وجاء في إنجيل لوقا في الإصحاح الرابع والعشرين ما نصّه ((وفيما هم يتكلّمون بِهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم ، فجزعوا وخافوا وظنّوا أنّهم نظروا روحاً ، فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكارٌ في قلوبكم ،

أنظروا يديّ ورجليّ إنّي أنا هو ، جسّوني وانظروا فإنّ الروح ليس له لحم وعظام كما ترَون لي ، وحين قال هذا اراهم يديه ورجليه ، وبينما هم غير مصدّقين من الفرح ومتعجّبين قال لهم أعندكم هنا طعام ؟ فناولوه جزءً من سمكٍ مشوي وشيء من شهد عسلٍ ، فأخذ وأكل قدّامهم)) .

---

* الربوة هي مكان مرتفع عن الأرض ، وكان فيها عين ماء ونبات وأشجار ، ولذلك وصفها الله تعالى بقوله {ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} أي ذات مقرّ للإنسان يستقرّ فيها وفيها ماء معين .

[الإسراء والمعراج]

سؤال ٢٤ : إذا كانت السماوات أثيرية ، إذاً كيف صعد النبيّ إلى السماء ليلة المعراج ؟

جواب : إن نفسه الأثيرية صعدت إلى السماء ، وأمّا جسمه فكان نائماً على فراشه ، فقد جاء في كتاب (المعراج) بأنّ النبيّ ذهب مع جبريل إلى بيت المقدس فوجد الأنبياء هناك فسلّم عليهم وصلّى بِهم في بيت المقدس ، ثمّ عرج إلى السماوات مع جبريل وصلّى بالملائكة في كلّ سماء حتّى صعد إلى السماء السابعة .

أقول إنّ الأنبياء انتقلوا بِموتهم من العالم المادّي إلى العالم الأثيري وأصبحوا نفوساً أثيرية ، والنفوس لا تراها الأحياء ، ثمّ إنّ الملائكة هم مخلوقات أثيرية أيضاً ولا تراهم الناس إلاّ بشروط ، ثالثاً إنّ الإنسان لا يمكنه أن يصعد إلى السماء بِجسمه المادّي ويلتقي بِالملائكة ، إذاً المعراج كان بالنفس الأثيرية لا بالجسم المادّي ولذلك كان الوقت ليلاً .

قال الله تعالى في سورة الإسراء {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} . فالمسجد الحرام يريد به مكة ، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس ، فإنّ النبيّ أسري به ليلاً من مكة إلى بيت المقدس ، وإنّما أسري به ليلاً لأنّ الأرواح تضجر من الضوضاء وتنفر من الضياء وخاصةً ضياء الشمس ، فلذلك أسري به ليلاً لأنّ الناس نائمون والأصوات خامدة والحركات هادئة والشمس غائبة ، فكان الوقت ملائماً لسيره إلى بيت المقدس ثمّ عروجه إلى السماء بصحبة جبرائيل لأنه أصبح مخلوقاً أثيرياً مثل صاحبه . ولَمّا كان المعراج بالنفس الأثيرية أمكنه أن يرى أرواح الأنبياء ويصلّي بهم ، وأمكنه رؤية جبرائيل وأمكنه الصعود معه إلى السماوات الأثيرية ، وأمكنه رؤية الملائكة والتكلّم معهم إلى غير ذلك مِمّا ذُكِر عنه عليه السلام .

قال تعالى في سورة
النجم {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَ
دِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْ

دِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَالْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}

المعنى :

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} أي قسماً بِذوات الذَنَب إذا سقطت على الأرض ، وهذا قسم تهديد ووعيد ، وقد سبق تفسير هذه الآية في كتابنا (الكون والقرآن) ، ثمّ قال تعالى :

{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} أي ما ضلّ محمّد عن طريق الحقّ وما أضلّ أحداً بِدعوته ومنهجه ، وذلك لأنّ المشركين قالوا [كما في سورة الفرقان] {إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا} ،

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} أي ليس ما نطق به محمّد من القرآن والشريعة صادر من الناس ، وذلك لأنّ المشركين قالوا [كما في سورة النحل] {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} ،

{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ} من الله {يُوحَى} إليه ،

{عَلَّمَهُ} القرآن والشريعة جبريل الذي هو {شَدِيدُ الْقُوَى} وهذه صفة لجبرائيل بأنّه شديد القوى ، كما وصفه أيضاً في سورة التكوير بقوله تعالى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} ،

{ذُو مِرَّةٍ} أي ذو مشورةٍ تستشيره الملائكة في شؤونِها والأنبياء في دعوتِها ، وذلك لذكائه ورجاحة عقله وعلوّ منزلته ، {فَاسْتَوَى} محمّد ، أي صار محمّد مساوياً لجبريل في النوع وفي صعودهما إلى السماء في ليلة المعراج ، وذلك لأنّ محمّداً صعد بنفسه الأثيرية وكذلك جبريل مخلوق أثيري وأنهما صعدا سويةً إلى السماء ،

{وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} أي أنّ جبرائيل كان على ارتفاع من جوّ الأرض وكان يعلّم محمّداً بعض المعلومات الدينية

{ثُمَّ دَنَا} محمّد من العرش {فَتَدَلَّى} أي دلّه جبرائيل إليه ،

{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ} من العرش في المسافة {أَوْ أَدْنَى} من تلك المسافة ،

{فَأَوْحَى}الله تعالى {إِلَى عَبْدِهِ} محمّد {مَا أَوْحَى} إلى الأنبياء من قبله من التوحيد والأحكام ، فإنّ الله تعالى أوحى إلى محمّد وهو في السماء وجبرائيل علّمه أشياء ،

{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} أي ما كذّب فؤاد محمّد ما رآه من الآيات والعجائب في السماوات في ليلة عروجه ولم يشكّ فيما رآه لأنّها انطبعت في ذاكرته ، وقوله تعالى {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ} دليل على أن المعراج كان بالنفس الأثيرية لا بالجسم المادّي ، لأنّ الفؤاد من أعضاء النفس ، فلو كان المعراج بِجسمه لقال تعالى : ما كذب القلب ما رأى ،

{أَفَتُمَارُونَهُ} يعني أفتجادلونه {عَلَى مَا يَرَى} من الآيات ، وذلك لأنّ قريشاً أخذوا يجادلونه على ذلك ،

{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} أي ولقد أراه وبيّن له أشياء أخرى ، والمعنى أنّ جبرائيل بيّن لِمحمّد وعلّمه أشياء أخرى فإنّ كلمة "رأى" مأخوذة من الرأي وهو العلم ، وذلك كقوله تعالى في سورة الفيل {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} فإنّ أصحاب الفيل لم يرهم محمّد بل أخبروه بقصتّهم ،

{عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} أي عند انتهاء جولتهما وهي شجرة أثيرية ثمرها النبق ،

{عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} أي قرب تلك السدرة جنة المأوى التي تأوي إليها نفوس النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين في عالم البرزخ ، وهي الطبقة السفلى من السماوات السبع ، وهي غير جنة الخلد التي يدخلونها

يوم القيامة ، ولذلك قال تعالى في سورة الرحمن {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} والمعنى يدخل الجنة الأولى في عالم البرزخ ويدخل الجنة الثانية يوم القيامة .

{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ} من الأنوار {مَا يَغْشَى}البصر في ذلك الوقت الذي شاهدها محمّد ،

{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} أي ما مال بصره عن مرئيّه المقصود له ولا جاوزه ، والمعنى كان محمّد ينظر أمامه فقط ولا يلتفت يميناً وشمالاً ، وكان ذلك تأدباً منه وتعظيماً لربّه ، فقوله تعالى {مَا زَاغَ الْبَصَرُ} دليل أيضاً على أنّ المعراج كان روحانياً لا جسمانياً لأنّ البصر من حواسّ النفس والعين من حواسّ الجسم .

{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} أي كبرى هذه الآيات وهو العرش الذي هو أكبر آية في السماوات .

حادثة إغماء

مرض رجل في العشّار إسمه عبّاس العبدلي وأشرف على الموت فأغمي عليه وخرجت نفسه الأثيرية من جسمه ليلاً وأخذت تسيح ثمّ عادت إلى جسمه فاستوى جالساً ونظم هذه القصيدة وكان ذلك سنة ١٣٢٥هج .

حياةُ المرءِ في الدنيا فناءٌ

له أبداً وللأخرى بقاءُ

ومهما عاشَ أهلُ الأرضِ طُرّاً

لهمْ مِنْ بعدِ عيشِهِمُ انتهاءُ

لَعَمرُكَ ما الحياةُ سِوى خيالٍ

يَزولُ وبِالزوالِ لَكَ اقتداءُ

إذا بعدَ العناءِ تُريكَ صَفواً

فلا صفوٌ يدومُ ولا عناءُ

ويومٍ قدْ عَرى جِسمي سُقامٌ

جسيمٌ ما لِشِدّتِه رُخاءُ

فقلتُ وإنّني لا شكَّ مَيْتٌ

وإنّ اللهَ يفعلُ ما يَشاءُ

فَكَرْتُ أبا الخصيبِ بِهِ طبيبٌ

يُعالِجُني ولي منهُ الدواءُ

مِنَ العشّارِ سِرْتُ بِغيرِ رُشدٍ

وداهَمَني مِنَ السُّقمِ التِواءُ

نَزَلتُ بِزورَقٍ فوجدتُ نفسي

لَها بِمعاشِرِ الموتَى التِقاءُ

علَى اسْمِ اللهِ فوقَ الماءِ يَجري

كجَريِ الريحِ ضجّ لهُ اعتناءُ

وصَلْتُ أبا الخصيبِ نزَلتُ داراً

لدَيها الطقسُ صافٍ والهواءُ

وإذْ ذاكَ اعتَرَفتُ بأنّ جسمي

يَحِلُّ مِنَ النُّحولِ بِهِ بلاءُ

وما في الغيبِ ما أنا قَطُّ أدري

أيُدرِكُني الحِمامُ أمِ الشِّفاءُ

رأيتُ هناكَ روحِي بانفصالٍ

مِنَ الجسمِ اقْتضاها الإرتقاءُ

تَبَدّتْ مِنْ فمي تَسمو رويداً

رويداً يَردهي فيها الفضاءُ

حَكَتْ سيفاً تَجرّدَ مِنْ قِرابٍ

بِأحسنِ هيكلٍ فيهِ صفاءُ

كأنّي بالحياةِ بِلا نزاعٍ

خفيفُ الروحِ شفّافٌ سناءُ

ذكَرتُ ولادتي وحياةَ أهلي

ومُعتقَدي إذا ذُكِرَ الثناءُ

رَأتْ رُوحي بِعينِ السرِّ جسماً

طريحاً ما لِنَهضتِهِ رجاءُ

ونافذةٍ تُطِلُّ على طريقٍ

ونهرٍ فيهِ أنهارٌ وماءُ

ثلاثةُ نِسوةٍ يَغسِلْنَ فيهِ

مواعيناً لهنّ بِهِ أداءُ

وكنتُ رأيتُ شيخاً مستقِرّاً

بِزَورقِهِ تَوَلاّهُ العماءُ

عليهِ عباءةٌ زرقاءُ رثّتْ

تَطَرّقَ بينَ دفّتِها الفناءُ

وقفتُ وقوفَ ذي عقلٍ سليمٍ

وقلتُ نَعَمْ على الدنيا العفاءُ

وقد شاهدتُ في المقهى رجالاً

إذا عُدّ الوفاءُ لهمْ وفاءُ

رأيتُ بعينِها ورأتْ بِعيني

وها أنا وهِيَ في المعنى سواءُ

حَوَتْ حُرّيَةً إذْ لمْ يَعصِها

ستارٌ لِلخروجِ ولا بِناءُ

وَراقَ لَدَى الفضاءِ لَها وقوفٌ

تَحِفُّ الأرضُ فيها والسماءُ

رَجِعْتُ لِغرفتي لِظلامِ جسمي

كما لِلفجرِ قد رَجِعَ الضياءُ

رأيتُ الروحَ قدْ دَخَلَتْ إناءً

وَجِسمي فهوَ لِلروحِ الإناءُ

وقد عادتْ إليهِ بِانتظامٍ

عجيبٍ حيثُ عادَ لَها الولاءُ

تَوارَتْ فيهِ والتَحَقَتْ سريعاً

بِأحشائي وعادَ لَها انطِواءُ

وَلَمّا أنْ حَيِيتُ فَتَحْتُ عيني

وقمتْ كما يقومُ الأقوياءُ

نَظَرتُ روى ذاكَ النهرِ حتّى

تراءى لِي وأبهَجَني الصفاءُ

ورُحْتُ أصَدّقُ الرؤيا لَعلّي

على ضحضاحِ شاطئهِ نِساءُ

وجدتُ الشيخَ لمْ يَترُكْ مَحَلاً

بِهِ قدْ كانَ لازَمَهُ اعتِناءُ

وما شاهدتُ في المقهى رجالاً

تَحَقّقَ ليسَ في قولي افتراءُ

رَأَيتُ كما رأتْ روحِي عَياناً

وتَمّ معَ الحياةِ لِيَ الهناءُ

لِذا أدرَكْتُ سرّاً في سُقامي

حَقيقياً بِهِ عُرِفَ القضاءُ

وقدْ عافانيَ البارِي تعالى

كأنّي ما بَدا بِحَشايَ داءُ

وليستْ هذهِ رؤيا ولكنْ

عنِ الأسرارِ قدْ كُشِفَ الغِطاءُ

سَجَدتُ لِوجهِ ربّيَ شكراً

وقلتُ لِوجهِكَ اللهُ البقاءُ

عباس العبدلي

إرشادات

يريد الإنسان أن يعيش عيشة طيبة وفي رفاهية ، فلذلك تراه يكدّ ويتعب لينال ما تمنّاه ، فالشاب مثلاً يشتغل ليله ونهاره ويتعب نفسه ليجمع شيئاً من المال يعيش به في زمن شيخوخته ، والتلميذ يدرس ليله ونَهاره ويتعب نفسه وأفكاره مدّة أحد عشر عاماً أو أكثر ليضمن له مستقبلاً فيكون في وظيفة يستوفي منها راتباً يكفيه ، ويا تُرى ما هذه المدّة التي يريد الإنسان أن يضمن فيها معيشته ويرتاح بالُه ، فهل هي عشرة آلاف سنة ؟ كلاّ ، وهل هي خمسة آلاف سنة ؟ كلاّ ، إذاً ما هي المدّة التي يتعب الإنسان لأجلها ؟ هي إن كثرت سبعون سنة وإلاّ فخمسون أو أقلّ من ذلك .

أقول أليس الأحرى أن يتعب الإنسان لآخرته ويضمن له مستقبلاً زاهراً أو حياةً سعيدة ، أليس بالأحرى أن يقدّم الإنسان ما لديه لحياته الأبدية التي يعيش فيها آلاف السنين بل ملايين ولا يموت ولا يهرم ، فالعاقل الفطن هو الذي يقدّم ما عنده لآخرته ويعمل ما ينفعه لحياته الأبدية ليضمن له مستقبلاً ويرتاح في ذلك العالم الذي سينتقل إليه عن قريب ويجتمع هناك مع زوجته وأولاده ويعيش عيشة سعيدة .

سؤال ٢٥ : ماذا نفعل في دار الدنيا لنضمن لنا مستقبلاً في الآخرة ونعيش عيشة طيبة ؟

جواب : أولاً أن تجتنب المعاصي وتعمل الواجبات وترحم المساكين والفقراء وتعطف على الأيتام والأرامل وتنفق في سبيل الله إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة .

سؤال ٢٦ : أيّ خصلة يحبّها الله فينا ، وأيّ خصلة يكرهها ؟

جواب : إنّ الله تعالى يحبّ الشخص الرحيم الذي يرحم الفقراء ويشفق على الأيتام والأرامل والشيوخ والغرباء المنقطعين ، ويحبّ الشخص الكريم الذي يكرم الناس من ماله ولا يبخل عليهم ، ويحبّ الرجل المتواضع الذي لا يتكبّر على الفقراء ولا على غيرهم ، ويحبّ الرجل الصادق السليم القلب الذي لا يغشّ الناس ولا يكذب عليهم ولا يستعبدهم ، فقد قال الله تعالى في سورة الشعراء {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} .

وإنّ الله تعالى يكره البخيل الذي يبخل بماله على الفقراء ، فالبخيل يدخل جهنّم ، فقد جاء في الحديث القدسي بأن الله تعالى قال ((المال مالي والفقراء عيالي ، فمن بخل بمالي على عيالي أدخلته النار ولا أبالي)) . وجاء في إنجيل متي في الاصحاح السادس قال المسيح ((لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون)) . وقال تعالى في سورة التوبة {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ} ، فيجب على الغني أن ينفق من أمواله على الفقراء والضعفاء والمساكين والأيتام والأرامل والغرباء ، ويقول أعطي هذا في سبيل الله ، وأعطي هذا لوجه الله ، وأرحم هذا على حبّ الله . وبعطائه هذا يقدّم لحياته الأبدية فيجده هناك حين ينتقل إلى العالم الأثيري ، قال الله تعالى في سورة البقرة {وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ} .

وإنّ الله تعالى يكره المتكبّر ، فالمتكبّر يفلس من رحمة الله ويخسر ، فإنّ إبليس كان مع الملائكة المقرّبين ولمّا تكبّر على آدم ولم يسجد له طرده الله من الجنان وأفلس من رحمة الله . وإنّ الله تعالى يكره الظالمين الذين يظلمون الناس ويغصبون حقهم فإنّ الله تعالى يضلّهم عن طريق الحقّ بسبب ظلمهم فيكون مصيرهم إلى جهنّم ، قال تعالى في سورة إبراهيم {وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء} .

فيجب على الإنسان أن يعوّد نفسه على التواضع ، وأن يعوّدها على الصدق مع الناس ، وأن يعوّدها على الكرم ، ويعوّدها على الشفقة والرحمة ، فيرحم الفقراء والمساكين ، ويشفق على الأيتام والأرامل والغرباء المنقطعين ، ويعوّد نفسه على الأعمال الصالحة ليكون من الصالحين .

سؤال ٢٧: إذا نحن تجنّبنا المعاصي وعملنا الصالحات فهل نضمن لنا حياة سعيدة في العالم الأثيري ؟

جواب : نعم تضمنون لكم حياة سعيدة ولكن بشرط وهو أن لا تشركوا بعبادة ربّكم شيئاً فإنّ المشرك لا يدخل الجنة ، فقد قال الله تعالى في سورة المائدة {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ إلخ} ، وقال تعالى في سورة النساء {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} . ومن يشرك بالله فلا تقبل منه أعماله الصالحة وإن صام وصلّى مدى حياته بل تذهب أعماله أدراج الرياح ، فقد قال

الله تعالى في سورة الفرقان {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا} يعني لا يؤجَرون على أعمالهم الصالحة فهي تذهب أدراج الرياح كما تذهب الذرّات المنتشرة في الفضاء وذلك لأنهم أشركوا غير الله بعبادتهم .

سؤال ٢٨: نحن أهل كتاب سماوي وهل في أهل الكتاب مشركون ؟

جواب : إنّ أكثر الناس اليوم مشركون ولكن لا يعلمون أنّهم مشركون ، وأكثر الناس سائرون على طريق الضلال ويحسبون أنّهم مهتدون ، فقد قال الله تعالى في سورة الكهف {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} يعني يعملون أعمالاً لا يرضى الله بِها ولكنّهم يحسبون أنّ أعمالهم هذه صالحة وأنّ الله تعالى راضٍ عنهم وعن أعمالهم .

سؤال ٢٩ : ألا تعلّمنا ما هو الإشراك لكي نتجنّبه ؟

جواب : الإشراك هو أن تشرك أحداً من الأنبياء أو الأئمة أو المشايخ بالعبادة فتعبد الله وتعبده كما تعبد الله ، وهذا هو الإشراك ، وذلك كما يقال "زيد شريك عمرو في الحانوت" أي أنّ الحانوت مشترك فيما بينهما ، ويقال "زيد شريك عمرو في التجارة" يعني أنّ التجارة مشتركة فهما فيها شريكان ، فالإشراك هو أن تعبد غير الله كما تعبد الله .

روي عن النبيّ (ع) أنّه قال : ((إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي هو الإشراك بالله ولا أقول أنّهم يعبدون الشمس والقمر ولكن يعملون أعمالاً لغير الله)) .

سؤال ٣٠: وهل أنّ أحداً يعبد غير الله ؟

جواب : نعم كثير من الناس يعبدون غير الله من حيث لا يعلمون .

سؤال ٣١: أليست العبادة لله هي الصوم والصلاة ؟ فإننا نصوم لربّنا ونصلّي له ولا نصلّي إلى أحد غيره .

جواب : ليست العبادة مختصة بالصوم والصلاة فقط ، وإنّما العبادة لله كثيرة وهي أنواع :

أوّلها – ذكر الله ، وذلك بأن تذكر الله على الدوام بالحمد والثناء والشكر له ، فإذا ذكرت أحد المشايخ أو الأئمة على الدوام فقد أشركت ، قال الله تعالى في سورة الأحزاب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} أي على الدوام فانظر إنّ الله تعالى قال {اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} ولم يقل اذكروا المشايخ ذكراً كثيراً . وقال تعالى في سورة الأعراف {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} أي على الدوام ، وقال تعالى في سورة البقرة {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} ، وقال تعالى في سورة الكهف {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا} . وإنّ الله تعالى مدح المؤمنين في القرآن الذين يذكرون الله ولا يذكرون غيره فقال تعالى في سورة آل عمران {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ إلخ} يعني يذكرون الله عند قيامهم وقعودهم وعند اضطجاعهم على جنوبِهم .

ثانياً ◄ الاستعانة بالله عبادة ، وذلك قولك (يا ألله) حين تقوم ، ومعناه أعنّي يا ألله ...ساعدني يا ألله ، فإن استعنتَ بغيره فقد أشركت ، حتّى لو قلتَ يا محمّد ، فإنّ الله تعالى لا يرضى أن تستعين بغيره ، فإنّك تقول في صلاتك وأنت تخاطب ربّك {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يعني لك نعبد وبك نستعين ، ولكنّك تستعين بغيره حين تقوم وحين تقعد كما قال الشاعر :

تلهج بإياك نستعين وبغير الله تستعين

ثالثاً ◄ السؤال من الله عبادة ، فإن سألتَ حاجتك من أحد الأنبياء أو المشايخ أو الأئمة فقد أشركتَ ، فإنّ الله تعالى لا يرضى أن تسأل حاجتك من غيره ، فقد جاء في مناجاة الإمام علي (ع) قال :

إلاهي أنِلني منكَ رَوحاً ورحمةً فلستُ سوى أبوابِ فضلِكَ أقرعُ

ومعناه لا أسأل أحداً غيرك ولا أطلب حاجتي إلاّ منك ، وجاء في الحديث القدسي أنّ الله تعالى قال ((يا موسى إسألني ولو ملحاً لطعامك)) يعني وإن كان الملح شيئاً رخيصاً والذي نحتاجه للطعام قليل فلا تسأل غيري بذلك بل سَل حاجتك مني وأنا أعطيك . وقال تعالى في سورة البقرة {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} ، وقال تعالى في سورة غافر {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ، وقال تعالى في سورة الأعراف {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} ، وقال أيضاً في نفس السورة{وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} .

فإنّ الله تعالى يباهي بك الملائكة إن أنت سألت حاجتك من الله ، فيقول لهم انظروا عبدي فلاناً فإنه وجّه وجهه لي وسأل حاجته منّي لأنّه عرفني أنّي قادر على كلّ شيء . ولكن إذا سألت حاجتك من غيره فإنّ الله تعالى يدير وجهه عنك ويقول لك ألم أكن قادراً على قضاء حاجتك لماذا تركتني وذهبت إلى أحد عبيدي تسأل حاجتك منه ؟ فليعطِك حاجتك إن كنت صادقاً في دعوتك ، وليقضِها لك إن كان قادراً . قال الله تعالى في سورة الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ،

قال تعالى في سورة العنكبوت {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ} ، وقال تعالى في سورة الإسراء {قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً} .

سؤال ٣٢: إنّ هذه الآيات لا تنطبق على المشايخ والأئمة بل هي على الأصنام ، فلِم طبّقتها على المشايخ ؟

جواب : إنّ قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} يقصد بذلك الملائكة لا الأصنام ، لأنّ قريشاً كانت تعبد الملائكة وتقول أنّها بنات الله ، والدليل على ذلك قوله تعالى {عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} فالأصنام ليست عباداً بل هي أحجار .

سؤال ٣٣ : نحن لا نسأل حاجتنا من المشايخ والأئمة بل من الله ولكن نجعلهم واسطة بيننا وبين الله ، كما إنّك لو أردتَ حاجة من شخص فإنّك تأخذ معك شخصاً آخر فيكون واسطة بينك وبينه ليقضي حاجتك .

جواب : إنّ البشر على قسمين ، منهم اللئيم وفيهم الكريم ، فإن أتيت شخصاً لئيماً فلا يقضي حاجتك إلاّ بواسطة أو لا يقضيها مطلقاً حتّى لو أتيت له بأكبر واسطة . أمّا إذا كانت حاجتك عند رجل كريم فإنّك لا تحتاج إلى واسطة بل يعطيك ما تريد بدون واسطة . فماذا تعتقد بالله تعالى أليس الله كريماً ؟ فالكريم يقضي حاجتك بدون واسطة ، وقد قال تعالى {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ولم يقل اجعلوا بيني وبينكم واسطة . وقد جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي لزين العابدين علي بن الحسين قال ((الحمد لله الذي أناديه كلّما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسرّي بغير شفيع فيقضي لي حاجتي والحمد لله الذي أدعوه ولا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي)) .

- رابعاً : النذر لله عبادة ، فإذا نذرت لأحد من الأنبياء أو المشايخ أو الأئمة أو السادة فقد أشركت ، ولا يجوز النذر لغير الله ولا يجوز أن تذبح ذبيحة لغير الله ، فقد قال الله تعالى في سورة النحل {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ ..إلخ} أي وما ذُبِح لغير الله ، وذلك كالنذر والقربان ، فمن أكل لحم ذبيح وهي نذر لأحد المشايخ أو الأئمة فكأنّما أكل لحم خنزير ، فالنذر حرام والأكل منها حرام والذبّاح آثم . فإذا أردت أن تنذر فقل أنذر لوجه الله إن أعطاني الله مرادي أذبح رأساً من الغنم وأفرّقها على الفقراء ، فنذرك هذا مقبول تؤجَر عليه .

- خامساً : العطاء والإنفاق في سبيل الله عبادة ، فإذا أعطيت شيئاً للفقير فقل في نفسك أعطي هذا في سبيل الله ، وإذا سألك الفقير فليقل أعطِني على حبّ الله وفي سبيل الله ، فإذا قال أعطِني على

حبّ المشايخ أو غيرهم فقد أشرك ، وإن أعطيته شيئاً على حبّهم فقد أشركت ، فقد قال الله تعالى في سورة الإنسان أو الدهر {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا} ، فانظر أنّ الله تعالى قال {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ} أي على حبّ الله ، ولم يقل ويطعمون الطعام على حبّ الأنبياء أوالمشايخ ، ثمّ قوله تعالى {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} ولم يقل إنما نطعمكم لوجه المشايخ . وقال تعالى في سورة البقرة {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ..إلخ} ، وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ..إلخ}

سادساً : التسمية وذلك بأن تسمّي ابنك عبد الله أو عبد الجليل أو عبد السلام أو ما أشبه ذلك من أسماء الله فإنّها عبادة ، فإذا سمّيت ابنك عبد النبي أو عبد علي أو عبد الحسن أو عبد الزهرة أو غير ذلك مِمّا تجعله عبداً لأحد الأنبياء أو المشايخ فقد أشركت . فقد جاء في كتاب نهج البلاغة بأنّ الإمام علياً (ع) بعث كتاباً إلى ابنه الحسن وفيه وصايا وحِكَم ومن جملة الوصايا قال فيه : ((ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً)) .

سابعاً : التعظيم لله عبادة ، ولا يجوز أن تعظّم غير الله وتقدّسه ، فتعظيم قبور الأنبياء والمشايخ وتقديسها وتقبيلها إشراك ، فإنّ الله تعالى لا يرضى عنك إذا فعلت ذلك ، لأنّك تركت الخالق وتمسّكت بالمخلوق ، ونسيت الرازق وسألت حاجتك من المرزوق . فقد قال الله تعالى في سورة الحج {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ..إلخ} وقال تعالى أيضاً [في نفس السورة] {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} فانظر أنّ الله تعالى قال {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ} ولم يقل ومن يعظّم شعائر المشايخ . وجاء في كتاب نهج البلاغة بأنّ الإمام علياً (ع) لَمّا مرّ بالعراق في حرب النهروان جاءه أهل العراق يقبّلون يديه ورجليه ويعظّمونه فنهرهم وطردهم وقال لهم ((مه ما هذه الأعمال ؟ لا تعملوا كعمل الفرس ، أنا بشرٌ مثلكم فلماذا تقبّلون يدي ورجلي فهذا لا يجوز ، التعظيم لله فقط)) . وكان النبي (ع) إذا دخل المسجد فإنّ أصحابه يقومون احتراماً له فنهاهم عن ذلك وقال ((أنا بشرٌ مثلكم ، لا تعظّموا غير ربّكم الذي خلقكم [لا تفعلوا بي كما تفعل الأعاجم بملوكها] أو كما قال . أقول إذا كان الإمام علي (ع) لا يرضى أن يقبّل أحد يديه ورجليه وهو حيّ ، فكيف يرضى بعد وفاته أن يقبّلوا قبره وجدران مرقده وعتبة بابه وغير ذلك ؟

سؤال ٣٤ : أليس هؤلاء مرشدينا ومعلّمينا ، أليس يجب علينا أن نحبّهم ونحترمهم ؟

جواب : نعم نحبّهم ونحترمهم ولكن لا نعظّمهم ولا نعبدهم ، فالتعظيم لا يجوز إلاّ لله وحده ، وقد قال الله تعالى في سورة الذاريات {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} .

ثامناً : اليمين بالله عبادة ، وذلك بأن تكون صادقاً في يمينك ، فإذا حلفت كاذباً فإنّك آثم . واليمين هي أن تقول ((والله)) أو ((بالله)) أو ((تالله)) بأنّ الأمر كان كذا ، فإذا حلفت بأحد الأنبياء أو المشايخ أو الأئمة فقد أشركت .

سؤال ٣٥ : أنت تقول لا تحلف بغير الله ، إذاً فما معنى قوله تعالى في سورة البقرة {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ؟

جواب : نزلت الآية في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يدخل على ختنه ولا يكلّمه ولا يصلح بينه وبين امرأته ، فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يحلّ لي أن أفعله ، فنزلت {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ} أي لا تجعلوا اليمين بالله علّة مانعة لكم من البِرّ والتقوى ، وذلك قوله تعالى {أَن تَبَرُّواْ} يعني أن لا تبرّوا ، وهو عمل البِرّ {وَتَتَّقُواْ} الشرّ ، أي لا تحلف بالله على أنّك لا تتّقي الشرّ بوجه من الوجوه ، مثلاً إذا كنت جالساً تحت جدار مع جماعة فنظر جماعتك وإذا الجدار آخِذٌ في السقوط فقالوا لك قم لئلاّ يسقط علينا الجدار فتحلف بالله إنّي لا أقوم من مكاني وإن سقط الجدار ، فتكون قد عرّضت نفسك للخطر بيمينك هذه ، {وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ} يعني ولا تحلف بالله على أنّك لا تصلح بين الناس فتترك بذلك عمل الخير والأمر بالمعروف ، {وَاللّهُ سَمِيعٌ} لأقوالكم {عَلِيمٌ} بأعمالكم . وليس المقصود من هذه الآية النهي عن اليمين بالله أو الإكثار منه .

==========

==========

تمّ بعون الله كتاب (الإنسان بعد الموت) ويليه (الردّ على الملحدين) تأليف محمّد علي حسن الحلّي .